إبراهيم كايد محمود
قسم اللغة العربية – كلية التربية – جامعة الملك فيصل
الأحساء – المملكة العربية السعودية

الملخص :

تناول البحث العربية الفصحى وأثر كل من الازدواجية والثنائية عليها، وقد عرض في البداية إلى خلاف العلماء حول تحديد مفهوم كل من الازدواجية والثنائية، وحاول تحديد كل مصطلح من هذين المصطلحين، ثم تحدث عن ظاهرة الازدواجية وأوضح أخطارها على العربية الفصحى، كما بين ما لها من آثار سلبية على اللغة والمجتمع والفرد، التي تتمثل وجود طبقات اجتماعية متخاصمة، مما يشتت جهود أي توحد أو وئام بين طبقات المجتمع وأفراده فهي عنوان الصراع الاجتماعي داخل المجتمع. كما أن لها تأثيرها السلبي على شخصية الفرد، يظهر ذلك واضحاً في طريقة تفكيره وفهمه للأمور، إضافة إلى أن هذا الأثر السلبي يمتد إلى العربية الفصحى فهي تُصارِعُها للانتصار عليها .

ثم تحدث عن الثنائية وحاول تحديد مفهومها، وعرض لأهم أنواع الثنائية وسبب ظهور كل نوع، وما تجلبه من أضرار تعم المجتمع، وتضر بالفرد فتخلق منه شخصاً متردداً، وتقتل كل إبداع فكري لديه، كما أنها تؤثر في العربية الفصحى وتعمل على القضاء عليها لتحل محلها .

وقد توصل البحث إلى أن الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية كليهما خصم عنيد للفصحى، يعمل على هدمها والتخلص منها، كما أنها تؤثر سلباً في شخصية الفرد الذي يبدو قلقاً ضعيف الشخصية، ضيق الأفق، متردداً غير قادر على حسم الأمور . كما أنها السبب المباشر لقتل الإبداع الفكري والإنتاج العلمي. لذا لابد من العمل على حماية الفصحى من خطر هاتين الظاهرتين اللغويتين، باتخاذ الإجراءات الكفيلة بدعمها والاهتمام بها، والعمل على تبسيطها وتحبيب الأجيال الناشئة لها والاهتمام بها داخل المؤسسات التعليمية والتربوية، والإفادة من وسائل الإعلام كافة . والعمل على الإفادة من كل النظريات التربوية الحديثة إلى جانب الاهتمام بمدرسي العربية وتأهيلهم بطريقة تربوية مناسبة تخدم العملية التعليمية والعمل على تأخير تدريس اللغات الأجنبية لأطفالنا إلى ما بعد سن العاشرة حتى يتسنى لأطفالنا إتقان لغتهم الأم أولاً.

اللغة وسيلة للتعبير عما يدور في خلجات النفس من أفكار، وإخراجه إلى عالم الحسّ، والإدراك الخارجي، وهي خير أداة للتفاهم بين بني البشر، وأفضل وسيلة للاتصال ونقل الآراء والأفكار بينهم. كما أنها كائن حيّ ينمو ويتطور، وينتج عن هذا النمو والتطور ارتقاء لغوي تدريجي، يساير الارتقاء العقلي والحضاري، هذا الارتقاء اللغوي ناتج عن تطور ذاتي في اللغة(١)، لأنها لم تحتفظ في تطورها وارتقائها بالأصل الذي وجدت به، بل نجدها دائمة التفرع والتشعب إلى لهجات ولغات مختلفة، كما أن هذا الارتقاء ناتج أيضاً عن تطور في أعضاء النطق الإنسانية إلى جانب الاحتكاك الحتمي بين اللغات المختلفة، وقد أدت هذه الأمور مجتمعة إلى ظهور أنماط متعددة في استعمال اللغة الواحدة، ولدى الفرد الواحد، وداخل المجتمع الواحد، هذه الأنماط تدور في فلك اللغة الأصل، تشابهها في كثير من الصفات والخصائص، وتبتعد عنها في صفات وخصائص أخرى. هذا ما جعل الفرد في المجتمع يعرف نوعين مختلفين للغته الأم: النوع الأول هو اللغة الأصل، العالية أو الراقية التي تستخدم في التعليم، وفي الكتابة وفي المعاملات الرسمية، وهي اللغة الفصيحة أو الرسمية. أما النوع الثاني : فهو الجانب المتطور للغة الذي يمثل البعد عن اللغة الأم، ويستخدمه أفراد المجتمع وطبقاته المختلفة في الاستعمال اليومي، وهو ما يطلق عليه اسم اللغة العامية، أو الدارجة، أو المحكية، أو اللهجة المحلية، وغير ذلك من الأسماء . فنحن هنا أمام نمطين أو تنوعين مختلفين للغة واحدة، ويمكن القول - بشيء من التسامح - إن الفرد في هذه الحالة يعرف لغتين مختلفين لكن أصلهما واحد.

واحتكاك اللغة بغيرها من اللغات يؤثر عليها سلباً أو إيجاباً، ويفرض عليها تغيّراً معيناً يقاس بمقدار ما اقتبست من خصائص، وما اكتسبت من صفات جديدة، وقد يسود في المجتمع لغتان مختلفتان لظروف سياسية، أو اقتصادية، أو قومية، أو دينية، أو غير ذلك، وقد يتعلم الفرد لغة أو أكثر غير لغته الأم، فيصبح عارفاً للغات ليست من أصل واحد ، فنحن هنا أمام ظاهرتين لغويتين مختلفتين: الأولى، معرفة لغتين من أصل واحد " اللغة الأم إلى جانب لهجة محلية " والثانية: معرفة لغتين مختلفتي الأصول كالعربية إلى جانب الإنجليزية مثلاً، وقد ترتب على معرفة اللغات بهذا الشكل

اختلاف العلماء في تحديد مفهوم دقيق لكل ظاهرة من هاتين الظاهرتين. وحديثنا عن الاختلاف في الاستعمال اللغوي داخل المجتمع أو لدى الفرد يقودنا إلى الحديث عن الثنائية اللغوية، والازدواجية اللغوية والتعددية اللغوية.

وقد أطلق على هذين التنوعين اللغويين، ازدواجية اللغة Diglossia وثنائية اللغة Bilingualism. وعند ترجمة هذين المصطلحين نجد أنهما يحملان نفس المعنى، فمصطلح Diglossia يتكون من سابقة يونانية Di معناها مثنّى أو ثنائي أو مضاعف، و gloss ومعناها لغة، ولاحقة ia للحالة، فحاصل الترجمة : صفة أو حالة لغة مثناه أو مضاعفة (الثنائية اللغوية)، والمصطلح Bilingualism يتكون من سابقة لاتينية Bi معناها مثنى أو مضاعف، و Lingual لغوي، واللاحقة ism الدالة على السلوك المميز أو الحالة أو الصفة، فحاصل الترجمة سلوك لغوي مثنى أو مضاعف (الثنائية اللغوية). فيظهر للوهلة الأولى ان المصطلحين يدلان على معنى واحد هو لغتان . إلاّ أن الحقيقة غير ذلك فالمصطلحان غير متطابقين، بل يدل كل مصطلح منهما على معنى مغاير لما يدل عليه الآخر.

وإذا حاولنا أن نحدد كل مصطلح من هذين المصطلحين وكيفية ظهوره، وجدنا اختلافاً في تحديد كل منهما لدى علماء الغرب، ترتب عليه خلط واضطراب لدى علمائنا. فقد ظهر مصطلح Diglossie أول ما ظهر عند الفرنسيين على يد العالم وليم مارسيه الذي نحت هذا الاصطلاح LaDiglossia عام ١٩٣٠م، وعرّفه بقوله: " هو التنافس بين لغة أدبية مكتوبة، ولغة عامية شائعة "(٢). ولما لم يكن في اللغة الإنجليزية كلمة لها مثل هذه الدلالة، صيغ هذا المصطلح Diglossia ليدل على نفس المعنى إلا أن " اللغات الأوربية الأخرى بوجه عام تستعمل كلمة Diglossia عوضاً عن كلمة Bilingualism الثنائية اللغوية في نفس هذا المعنى الخاص أيضاً "(٣)، وفي عام ١٩٥٩م نقل شارل فرغسونCharles Ferguson مصطلح Diglossia إلى الإنجليزية، ليدل به على شكلين مختلفين من الاستخدام للسان نفسه، أي أنه تنافس بين تنوعين للسان واحد، ووجود وضع مختلف لكل من هذين الشكلين اللغويين إذ يستخدم أحدهما في الحياة اليومية العامة، ويستخدم الآخر في الأمور الرسمية والدوائر الحكومية، في

الحكومية، في المدارس والمحاكم والوزارات وغيرها، ويعتبر هو المعيار الرسمي والحقيقي، وقدم لهذه الظاهرة تعريفاً، قال فيه: " حالة لغوية ثابتة نسبياً، يوجد فيها فضلاً عن اللهجات الأساسية التي ربما تضم نمطاً محدداً أو أنماطاً مختلفة باختلاف الأقاليم، نمط آخر في اللغة مختلف، عالي التصنيف " وفي غالب الأحيان أكثر تعقيداً من الناحية القواعدية " فوقي المكانة، وهو آلة لكمية كبيرة ومحترمة من الأدب المكتوب لعصور خلت، أو لجماعة سالفة، ويتعلم الناس هذا النمط بطرق التعليم الرسمية، ويستعمل لمعظم الأغراض الكتابية والمحادثات الرسمية لكنه لايستعمل من قبل أي قطاع من قطاعات الجماعات المحلية للمخاطبة أو المحادثة العادية "(٤).

هكذا وضع فرغسون الحدود العامة لمصطلح Diglossia وقصد به الازدواج اللغوي الذي يقوم على تنوعات مختلفة للسان واحد. وقد أشار أندريه مارتينيه إلى عدم وضوح هذه الظواهر اللغوية، فقال: " إن المعيار الدولي في شأن التوسع المفرداتي انطلاقاً من الألسن الكلاسيكية للغرب قلّما كان بيّناً، وهو غالباً اليوم مُساء الاستعمال من قبل الألسنيين أنفسهم "(٥). فهذه الظواهر اللغوية غير واضحة المعالم عند علماء اللغة أنفسهم، لأنها ظواهر لاتهم اللغويين وحدهم، بل يهتم بها كثير من العلماء على اختلاف تخصصاتهم وتوجهاتهم. ويتابع مارتينيه حديثه عن المعيار الذي يمكن أن يحدد الجوانب العامة لهذه الظواهر فيقول:" إن النظرة إليه حظيت باحترام عندما افترضنا مقابل اللتينانية " النزعة اللاتينية Latinisme " ثنائي اللسان Bilinguisme " المفردة الهلّينية Hellenisme الازدواجية الألسنية Diglossia وفي عام ١٩٥٩م اقترح شارل فرغسون استعمال هذه المفردة (التي لها تماماً في اللسان الإغريقي قيمة ثنائي اللسان bilinguisme، للإشارة إلى موقف معين حيث نسجل الاستعمال التنافسي لشكلين مختلفين لما نعتبره بمثابة اللسان الواحد. إن اختبار مفردة الازدواجية الألسنية في هذه الحال يُفسر على نحو جيد من قبل بعضهم، الذي يعتبر أن عنصر لسان " ألسوذة Lingu" في كلمة ثنائي اللسان bilinguisme يتماثل مع المفردة الفرنسية لسان Langue أو الإنجليزية language، للإشارة إلى ما نعتبره بسذاجة بمثابة " لسان حقيقي " من حيث حالته كلهجة محلية، والذي لايني أبداً أن يكون هو نفسه عندما

يظهر على شكل عاميات dialectes متميزة. لن يكون هناك إذن ثنائية لسان إلاّ إذا كان موضوع الخلاف لسانين من هذا النموذج، فلنقل الإنجليزية والروسية والألمانية والصينية . هنا حيث اللهجات المتنافسة متماثلة كتنوعين varietes اثنين للسان بعينه، نفضل الكلام على ازدواجية ألسنية، لأن العنصر gloss لايفرض أبداً بالضرورة مفهوم اللسان الحقيقي لأي كان فيما عدا الشخص اليوناني"(٦). يحاول مارتينيه في النص السابق أن يكون متفقاً مع ما ذهب إليه فرغسون، فيلجأ إلى القول بأن مصطلح Bilinguisme يدل في جذوره اللغوية على معنى الثنائية اللسانية، ويدل Diglossia على الازدواج اللغوي، وقد وصل إلى هذه القناعة من العودة إلى جذر كل مصطلح من المصطلحين، إذ ذهب إلى القول بأن عنصر لسان " ألسونة lingnu " يتماثل مع مفردة لسان في اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وأن عنصر gloss لايفرض مفهوم اللسان الحقيقي، بل يوحي بمعنى تنوع اللسان الواحد.

ويرى R. Fasold أن فرغسون يعتبر ازدواجية اللغة تكاملاً وظيفياً بين شكلين لغويين، فيقول إن "فرغسون قصد أن ازدواجية اللغة هي تكاملاً وظيفياً Functional Complimentarity بين شكلين لغويين مرتبطين ارتباطاً أبعد من التقارب بين أساليب اللهجة الواحدة، ولكنه في الوقت نفسه أقرب من التباين بين اللغات المختلفة" (٧). وكأنه يقصد بهذا الفهم لما قاله فرغسون ما يمكن أن يطلق عليه اسم اللغة الهجين التي هي مزيج لغوي خاص نشأ نتيجة للاحتكاك بين لغتين مختلفتين، ربما كانتا متساويتي المكانة والقوة،ولا تظهر فيها خصائص إحدى اللغتين أكثر من الأخرى.

أما ج . فيشمن J. Fishman فيرى أن هذين المصطلحين "ثنائية اللغة وازدواجية اللغة" ليسا إلاّ وجهين لعملة واحدة، فيقول " وثنائية اللغة صفة مميزة للتصرف اللغوي على المستوى الفردي، أما ازدواجية اللغة، فإنها خاصية من خصائص التنظيم اللغوي على مستوى المجتمع ثنائية اللغة هي سمة الاستخدام اللغوي من قبل الأفراد، بينما ازدواجية اللغة هي وصف لتخصيص المجتمع لوظائف معينة للغات أو لهجات مختلفة" (٨).

فالفرق بينهما في نظره ليس فرقاً جذرياً، إنه فرق من ناحية الاستخدام فقط، فالنمط اللغوي الذي يستخدمه الفرد هو الذي يطلق عليه اسم الثنائية اللغوية، أما الازدواجية فهي صفة خاصة تطلق على تلك الوظائف التي فرضها المجتمع على استخدام مستويات لغوية محددة لأغراض لغوية واجتماعية محددة.

كل هذا الخلط والاضطراب وعدم الوضوح في تحديد مفاهيم هذه الظواهر اللغوية " دفع كاي Kay إلى اعتبار أن الفرق بين الكلام المعدّ مسبقاً والآخر الفوري شكلاً من أشكال ازدواجية اللغة(٩).

ونتيجة لتشابك هاتين الظاهرتين اللغويتين ذهب محمد الخولي إلى اعتبار وجود لهجتين إحداهما فصيحة والأخرى عامية في المجتمع نوعاً من الثنائية اللغوية، أسماها ثنائية رأسية، فقال: " أما إذا كانت اللغتان لهجتين للغة واحدة، كأن تكون لهجة عالية فصيحة، ولهجة عامية محلية، فتدعي هذه الثنائية ثنائية رأسية Vertical Bilingualism "(١٠) ويوضح سبب هذه التسمية فيقول: " وجاء مفهوم الرأسية من وجود لهجة عالية هي اللهجة الفصيحة، وأخرى أقل شأناً أو علوّاً هي اللهجة العامية أو المحلية "(١١) ويضرب مثلاً لذلك فيقول" " مثال ذلك حال العرب مع اللهجة الفصيحة واللهجات العامية أو المحلية، وتدعي هذه الحالة أيضاً الثنائية اللهجية "(١٢) ويحاول توضيح فكرته هذه في موضع آخر من كتابه فيقول: " ويجب ألاّ ننسى حالة شائعة لدينا جميعاً من الثنائية الرأسية والتي يمكن أن ندعوها ثنائية لهجية bidialectalism والتي يدعوها البعض ازدواجية اللغة أو الازدواجية اللغوية diglossia وهي حالة استخدام الفرد للهجتين من لغة واحدة وبصورة تكاملية"(١٣)

هكذا نجد أن هذين المصطلحين - كما يظهران في أقوال العلماء - غير واضحي الدلالة في أذاهانهم، مما ترتب عليه عدم فهم أبعاد كل مصطلح منهما، وعدم التحديد الدقيق لمجالاته وخصائصه، وأدى بالتالي إلى لبس غير هيّن عند كثير من الدارسين.

هذا الخلط والاضطراب وعدم الفهم الدقيق انعكس سلباً على كتابات العلماء

العرب من جراء ترجمة هذين المصطلحين، فمن ترجمهما عن الفرنسية خالف من ترجمهما عن اللغات الأوربية الأخرى، كما أن كثرة الدراسات وتشعبها في هذا المجال زاد من سوء الفهم وعدم وضوح الرؤيا عند علمائنا . فنجد من يستخدم مصطلح Diglossia ويقصد به الثنائية اللغوية، ويستخدم Bilingualism ويريد به الازدواجية، ومن يعمل عكس ذلك، فيستخدم Diglossia ويقصد به الازدواجية، وBilingnalism ويريد به الثنائية. ظهر هذا واضحاً في الكتابات التي تناولت هذه الظواهر اللغوية، إذ نجد أن علماءنا في المشرق العربي يستخدمون Diglossia للدلالة على الازدواجية اللغوية و Bilingualism للدلالة على الثنائية اللغوية، وشاع لدى علمائنا في المغرب العربي عكس ذلك، فهم يعنون بـ Diglossia الثنائية اللغوية وBilingualism الازدواجية اللغوية، وهذا الاستخدام غير مطرد إذ نجد من علماء المشرق من ساير المغاربة في استخدامه لهذين المصطلحين فذهب إلى القول بأن الازدواجية تكون " بين عامية وفصحى لأنهما فصيلتان من لغة وكل لغة بشرية تنقسم إلى عامية وفصحى، وعليه فإن الفارق بينهما هو فارق فرعي لاجذري . الازدواجية الحقة هي التي تقوم بين لغتين مختلفتي الروح والعبقرية. بين الفرنسية والعربية . بين الألمانية والتركية بين الصينية والروسية "(١٤).

ويذهب نهاد الموسى إلى أن الازدواجية اللغوية مقابل عربي ل Diglossia في حين تكون الثنائية هي المقابل العربي ل Bilingualism، وبعد أن عرض لآراء العلماء العرب في هذا المجال، قال : " وعلى الرغم من هذا فإننا نؤثر اتخاذ " الازدواجية " في الدلالة على هذا المفهوم من تقابل شكلين أو مظهرين أو مستويين لغويين في إطار العربية نفسها، وذلك أن الذين اختاروا الازدواجية في إفادة هذا المطلب أكثر، والغلبة من مستلزمات المصطلح، ثم إن الازدواجية مادتها "الزوج" وقد استقرت هذه المادة في العربية بدلالة جلية على الاقتران والمشاكلة، شأن العربية ولهجاتها، أو الفصحى والعامية . وهذه المادة في الطبيعة تشي بتوحّد العرق والسلالة - - - أما الثنائية فأن أُسّ دلالتها مطلق العدد حتى تطلق على متقابلات الأضداد كالخير والشر والنور والظلام والفقر والغنى، وذلك أشبه بالتقابل البعيد بين اللغات المتباينة . وهكذا تكون

الازدواجية عندنا – مقابلا عربيا ل Diglossia، على حين تكون الثنائية – عندنا - هي المقابل العربي ل Bilingualism" (١٥)

هكذا فإنه لابد من التفريق بين هذين المصطلحين، وتحديد مفهوم كل منهما. إننا نأخذ بوجهة النظر التي تذهب إلى ترجمة Diglossia بـ "ازدواجية لغوية"، لأن هذه الترجمة تبعدنا عن استخدام العديد من الكلمات، والتي بالتالي يصعب الرجوع إليها كلما دعت الحاجة، فبدلا من القول بأن ازدواجية اللغة هي ازدواجية اللغة الخاصة بالمجتمع، وثنائية اللغة هي ازدواجية اللغة الخاصة بالفرد، ثم إن ازدواجية اللغة هي خاصية أو صفة نطلقها على وضع المجتمع ككل، فعندما نتحدث عن ازدواجية اللغة فإننا نتعامل مع الأشكال اللغوية الموجودة في ذلك المجتمع، وبمعنى آخر فإن ازدواجية اللغة هي أحد مصطلحات علم اللغة الاجتماعي، أما ثنائية اللغة فإنها تصف قدرة الفرد على التعامل مع أكثر من لغة. فازدواجية اللغة تتعامل مع أشكال اللغة الواحدة بينما تتعامل ثنائية اللغة مع لغتين مختلفتين، إضافة إلى كونها أحد مصطلحات علم اللغة النفسي، وإن كانت تستخدم بين الحين والآخر في مجال علم اللغة الاجتماعي. كما أن مصطلح ثنائية يحمل معنى وجود أكثر من شكل من الإشكال اللغوية والتي ليست بالضرورة مزدوجة، فالشخص الثنائي بالخيار في استخدام إحدى اللغتين متى شاء، وهذا مالا يجب عند الشخص المزدوج الذي لم يتمكن من معرفة الشكل اللغوي الأعلى، كما أن ثنائية اللغة لها مستويات لغوية محددة، وهذا غير موجود في ازدواجية اللغة (١٦) ثم إن الثنائية اللغوية استخدام للغة من قبل الأفراد، أي أنها صفة لتصرف الفرد لغويا، أما الازدواجية اللغوية فإنها من خصائص الاستخدام اللغوي في المجتمع، الذي يقوم بدوره بتحديد وظائف اللغة وطرائق استعمالها، أي أنه يمكن القول أن الثنائية ظاهرة تخص الفرد، أما الازدواجية فهي ظاهرة تخص المجتمع. كذلك يمكن أن تظهر الثنائية في المجتمع في مدة أقل من المدة التي تحتاجها الازدواجية للظهور، إذ أن ظهور الازدواجية قد يحتاج إلى مرور ثلاثة أجيال على الأقل، بينما لايحتاج ظهور الثنائية لأكثر من جيل واحد.

بعد هذا العرض لنشأة مصطلحي الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية وإيضاح المراد بكل مصطلح منها وتحديد مجاله، حرّي بنا أن نتحدث عن العربية الفصحى، وماذا يقصد بهذا المصطلح، وما هي حدوده ومجالاته. العربية الفصحى هي أول لغة استخدمها العرب في حياتهم وعرفت بهم وعرفوا بها، إنها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ووسعت كل أحكامه وقواعده وقوانينه وعلومه، إنها لغة العقيدة والدين الإسلامي، وهي لغة التراث العربي الذي تضمن ما أبدعه سلفنا من آداب وعلوم وفنون في مختلف مجالات الحياة، إنها لغة الكتابة، لغة العلم والتعليم في كل أرجاء وطننا العربي الكبير يتفق عليها كل أبنائه كتابة وفهماً واستخداماً، فهي اللغة الرسمية في المدارس والمعاهد والجامعات، بها تدّرس كل المواد الدراسية المختلفة في كل مراحل التعليم، وبها تدون كل الإبداعات الأدبية والفنية، وجميع الابتكارات العلمية والتقنية، تكتب بها الكتب والصحف والمجلات، وتستخدمها كل وسائل الإعلام، إنها اللغة التي تصدر بها الأوامر الرسمية والبلاغات والبيانات، كما أنها لغة الوعظ والإرشاد إلى جانب كونها لغة الخطابة والشعر والأدب والفن. إنها الرابط القوي الذي يربط أرجاء الوطن العربي، ويجمع بين أفراده، إنها الوطن الروحي لأبناء هذه الأمة الموحد لها، الحافظ لكل تاريخها وحقائق حياتها قديماً وحديثاً. (١٧)

بعد الحديث عن الفرق بين ازدواجية اللغة وثنائيتها، وتحديد المراد بكل مصطلح من المصطلحين، يجدر بنا أن نتحدث عن كل مصطلح منهما بشيء من التفصيل، وإبراز أثر كل منهما على العربية الفصحى وعلى الفرد والمجتمع.

الازدواجية اللغوية :

إن تحديد مفهوم هذا المصطلح لايزال عسيراً ومبهماً عند كثير ممن تصدوا لدراسة هذه الظاهرة اللغوية. فكلمة ازدواجية ترجمة للمصطلح الإنجليزي Diglosslia ويعتقد البعض أن أول من تحدث عن ظاهرة الازدواج اللغوي هو العالم الألماني كارل كرمباخر عام ١٩٠٢ (١٨) . إلاَ أن هذا القول لم يحظ بتأييد كثير من العلماء، فذهب بعضهم إلى القول بأن العالم الفرنسي وليم مارسيه هو الذي نحت هذا

المصطلح بالفرنسية La diglossia وعرّفه في مقالة كتبها عام ١٩٣٠ بقوله " هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة"(١٩) . وفي عام ١٩٥٩. قدم العالم الأمريكي شارل فرغسون هذا الاصطلاح إلى الإنجليزية محدداً ظاهرة الازدواج اللغوي بأنها " وضع لغوي مستقر نسبياً يوجد فيه – بالإضافة إلى اللهجات في لغة ما " اللهجات التي يمكن أن تشتمل على معيار إقليمي أو أكثر " نمط فوقي عالي التشفير (وفي الغالب معقد نحويا) ومتباعد جداً، ويعد هذا النمط أداة لتسجيل حجم كبير من الأدب المكتوب، سواء في مرحلة مبكرة أو في مجتمع لغوي آخر، كما أن تعلمه يتم أساساً بواسطة التعليم الرسمي، ويستعمل في معظم الأغراض المكتوبة والأحاديث الرسمية، لكنه غير مستعمل في المحادثة العادية من قبل أي قطاع من المجتمع" (٢٠) . وهذا الفهم نجده عند اندريه مارتينيه حيث يقول :" نميل إذن إلى أن نخصص تحت مفردة الازدواجية الألسنية موقفاً لغوياً اجتماعياً، حيث تستخدم بشكل تنافسي لهجتان لهما وضع اجتماعي – ثقافي مختلف : الأولى باعتبارها لغة محلية، أي شكلاً لغوياً مكتسباً أولوياً ومستخدماً في الحياة اليومية، والأخرى لساناً يفرض استخدامه في بعض الظروف من قبل أولئك الذين يمسكون بزمام السلطة"(٢١) هكذا نجد أن تحديد الازدواج اللغوي يقوم على معيارين اثنين : تنافس بين نمطين عائدين لنفس اللغة، ووضع مختلف لهذين النمطين من حيث الوظيفة والمكانة، فالازدواج اللغوي يخصص وظيفة لكل من الفصحى والعامية، فتخصص الفصحى للاستخدام الرسمي، في الدوائر والمؤسسات الحكومية كالمدارس والجامعات والمحاكم والوزارات وغيرها، وهي المناسبة الوحيدة لهذا الاستخدام، وتكون العامية هي الأنسب للاستخدام اليومي بين عامة الناس .

ومن حيث المكانة فإن كثيراً من المتكلمين يرى ضرورة استعمال الفصحى عند الحديث في قضايا هامة كالخطب السياسية أو البيانات والمحاضرات والندوات والمؤتمرات، في حين أنهم لايجدون غضاضة من استخدام العامية في مواضع ومناسبات أخرى. وإذا حاولنا الوقوف على أسباب تنوع اللغة في الاستخدام لوجدنا أن هذه الأسباب تتمثل في الأتي :

التطور اللغوي في كل مستويات اللغة ، المستوى الصوتي الذي يتمثل في انحراف بعض الأصوات عن مخارجها ومواضع نطقها ، والمستوى الصرفي كظهور صيغ ومشتقات جديدة غير مقيسة ولامسموعة عن العرب القدماء كصيغ الجمع في بعض اللهجات العربية ، وصيغ التصغير وغيرها ، كذلك المستوى النحوي وعدم مراعاة علامات الإعراب إن نطقت، وتركيب الجمل الذي يتم دون مراعاة للتركيب الصحيح، ثم المستوى الدلالي ومايطرأ على معاني الألفاظ والصيغ من تغير جراء أمور نفسية أو اجتماعية وغيرها ، كل ذلك يؤدي إلى ظهور فروق في النطق بين المتكلمين للغة الواحدة، وقد لاحظ مؤرخو اللغات أن القبائل والجماعات والطوائف الدينية وأصحاب المهن والجماعات الخارجة على القانون وغيرها ، كل مجموعة من هذه المجموعات تميل إلى إيجاد لغة خاصة بها يمتنع فهمها على المجموعات الأخرى، إنها أشبه ماتكون بالشفرة التي لايستطيع أحد فكّ رموزها غير أصحابها .

كذلك فإن الفوارق الطبقية بين طبقات المجتمع لها دور في ظهور مثل هذه اللهجات، إذ تعمل كل طبقة على إيجاد لغة خاصة بها تميزها عن غيرها من الطبقات، فالطبقة الأرستقراطية لها لهجتها الخاصة ، والطبقة الوسطى لها لهجتها ، كذلك تختص الطبقة الدنيا بلهجة معينة .

ويجب ألا يغيب عن بالنا دور الاحتكاك اللغوي بين اللغات وماينتج عنه من ظهور لغات أو لهجات جديدة خسرت شيئاً من خصائصها وصفاتها الأصلية، وبدأت الابتعاد التدريجي عن اللغة الأم . كل ذلك يوصل إلى ظهور الازدواج اللغوي .

كما أن اختلاف البيئات داخل المجتمع الواحد له دور هام في ظهور الازدواجية اللغوية ، فأبناء الريف مثلاً يتحدثون بلهجة تختلف عن تلك التي يتحدث بها أبناء المدن، وهاتان تختلفان عن لهجة أبناء البادية ، فأفراد كل بيئة يتفقون على طريقة نطقية معينة يتعاملون بها في بيئتهم الخاصة . فلا تستطيع اللغة الأم أن تستمر في حياتها في كل البيئات وتحت كل الظروف دون تغيّر أو تطور . من هنا ندرك أن الازدواج اللغوي أمر حتمي موجود في كل اللغات، وليس خاصاً بلغة دون أخرى، إنه التطور اللغوي

القسري، كما أنه امتداد لازدواجية العقل والحس عند البشر، ففي كل لغة لسان عامي وآخر فصيح .

بعد هذا العرض لأسباب ظهور الازدواج اللغوي، نحاول تحديد ظهوره في اللغة العربية، بتحديد الزمن التي ظهرت فيه العامية في هذه اللغة، ثم بعد ذلك نستطيع القول إنه أصبح هناك ازدواج لغوي في العربية. وقد ذهب عدد من العلماء العرب(٢٢) إلى القول بأن الازدواجية اللغوية ظهرت في اللغة العربية بعد الفتح العربي الإسلامي الذي نتج عنه دخول أمم وشعوب كثيرة إلى الإسلام، وأدى ذلك إلى صراع بين العربية واللغات الأخرى، نتج عنه هذا الازدواج اللغوي . وهذا يعني أن العربية قبل الفتح الإسلامي كانت مستوى لغوياً واحداً فصيحاً أو عامياً دون جمع بينهما، وهذا القول تعوزه الدقة لأنه لايتصور وجود لغة دون وجود نمط آخر غير النمط الفصيح. ومن أجل تحديد ظهور العامية علينا أن نطرح عدداً من الأسئلة : أليست اللغة العربية لهجة سامية ذات صفات وخصائص وسمات تختلف عن بقية الساميات ؟ ألا يمكن الافتراض أن هذه اللهجة السامية – اللغة العربية – هي العربية الأولى التي لم يعرف العرب غيرها ؟ إنها لهجة سامية فهي العامية مقارنة مع السامية الأم – الفصحى – ولكنها الأولى في حياة العرب فهي المستوى المعياري الذي عرفه العرب للغتهم، هذا المستوى المعياري الأول هل يمكن أن نصفه بأنه المستوى الفصيح، أم أنه المستوى العامي للغة العربية بدون مستوى فصيح ؟ ألا نتفق مع علماء اللغة على أن استخدام اللغة يعني تطوراً لها وبعداً تدريجياً عن الأصل، ألا يعني هذا ظهور لهجات مختلفة تنمو تدريجياً ؟ وإن كنا قد وصلنا إلى وجود لهجات نشأت عن استخدام اللغة الأم، فهل نكون قد دخلنا في مجال الازدواج اللغوي ؟ هل انبثقت اللهجات العربية القديمة بهذه الأشكال المختلفة مباشرة عن اللغة السامية أم أن ما انبثق عن السامية لهجة واحدة فقط هي العربية الأولى الفصيحة ؟ ونتيجة لاستخدام هذه اللغة، ونتيجة للتطور اللغوي ظهرت عنها لهجات مختلفة كما هو الحال مع لغات العالم كافة . هل يمكن القول بأن العرب تركوا اللغة الأم التي خرجت من السامية دون أن تربطهم بها أية صلة، وما الذي يسوّغ لنا أن نطلق على اللهجات القديمة التي كانت موجودة في جزيرة العرب لهجات عربية، ونحن

عندما نطلق عليها اسم لهجات نُقرُّ بأنها انشعبت عن لغة واحدة هي اللغة الأم ؟ الجواب عن هذه التساؤلات يؤكد أن اللهجات العربية كلها منبثقة عن لغة واحدة هي اللغة الأم، هي التي خرجت من السامية كلهجة عامية، وهي التي يمكن أن نصفها باللغة العربية الفصيحة مقارنة باللهجات العربية، هذه اللهجات تصارعت زمناً طويلاً لا نستطيع تحديده لأننا لا نملك تاريخاً لظهور اللغة العربية ثم عادت بفعل عوامل متعددة – بيئية وسياسية واقتصادية ودينية واجتماعية – إلى التوحد فيما عرف فيما بعد باللغة المشتركة، علماً أن ظهور اللغة المشتركة لم يقض على اللهجات، بل بقي المستويان جنباً إلى جنب في الواقع اللغوي، وإن كان لكل مجاله، تلك اللغة التي وصلت إلى مرحلة متقدمة من النضج في كافة جوانبها ومستوياتها، مما هيأها لأن تكون اللغة الفصيحة التي نزل بها القران الكريم .

وبعد هذا الحدث العظيم في تاريخ العربية والناطقين بها أكملت العربية وحدتها، وحاولت التخلص من بعض الخصائص اللهجية التي كانت تتصف بها اللهجات التي تكونت اللغة المشتركة منها. ويمكن القول ان اللغة العربية الفصحى الموحدة نشأت بهذا التاريخ، واستمرت على هذا الحال من التوحد إلى أن فتح المسلمون بلاد فارس والروم، وبدأ الأعاجم يدخلون الإسلام، وبدأ احتكاك حقيقي قوي بين العربية وغيرها من لغات الأمم المغلوبة، أدى إلى تفشي ظاهرة اللحن في اللسان العربي. تلك التي كانت قد عرفت منذ زمن مبكر في تاريخ اللغة العربية، فقد وصلتنا روايات كثير تؤكد ظهور اللحن منذ عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، قال أبو الطيب اللغوي: " واعلم أن أول ما اختل من كلام العرب فأحوج إلى التعلم الإعراب، لأن اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روينا أن رجلاً لحن بحضرته، فقال: " أرشدوا أخاكم فقد ضل ".. بل قد روينا من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أنا من قريش ونشأت في بني سعد فأنى لي اللحن (٢٣)

ظهر اللحن في اللسان العربي، وبدأ الانحراف عن اللغة الفصحى في كل مستوياتها، وقد رصد علماؤنا هذه الانحرافات وسجلوا مظاهرها المختلفة، وكانت سبباً رئيسياً في وضع كثير من علوم العربية، وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى هذه

الانحرافات التي شملت جوانب اللغة كلها، فقال في حديثه عن التساهل في التقيد بعلامات الإعراب : " إنما هي ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر عن الأول . كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا ، فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم تغَيّرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمستعربين، والسّمع أبو الملكات اللسانية، ففسدت بما ألقي إليها مما يغايرها لجنوحها إليه باعتياد السمع، وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد ، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام، ويلحقون الأشباه بالأشباه، مثل أن الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع ، ثم رأوا تغَيرُّ الدلالة بتغيُّر حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته إعراباً، وتسمية الموجب لذلك التغيرُّ عاملاً، وأمثال ذلك، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم، فقيدوها بالكتاب، وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو"(٢٤)

هذا الانحراف صورة من صور العامية، وخطوة من خطواتها تجاه تأصلها استعداداً لمقارعة الفصحى والتغلب عليها. وقد أدرك علماؤنا خطورة هذا الوضع وتنبهوا لما سيحل بالعربية فقاموا بوضع النحو لوقف تلك الانحرافات التي ظهرت على الألسنة في تلك الفترة، ولفهم النص القرآني فهماً تاماً .

كما ظهر الانحراف في استخدام الألفاظ والصيغ في غير ما وضعت له، مما ترتب عليه انغلاق المعنى وسوء فهم كثير من النصوص، وقد سجل ابن خلدون ملاحظاته حول هذا النوع من الانحراف، فقال في حديثه عن علم اللغة " هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية، وذلك لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب، واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه، ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم حتى تأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضعه عندهم ميلاً مع هجنة المستعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب

والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك، وأملوا فيه الدواوين، وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي ألّف فيها كتاب العين "(٢٥)

وقد أدرك العرب هذا الانحراف الذي تقوم به العامية من أجل ترسيخ نفسها كلغة بديلة عن الفصحى، فتصَدوا بقوة وحزم لهذا الزحف العاميِّ الخطير، وألَفوا المعاجم اللغوية التي حصرت ألفاظ العربية كاملة، وحافظت عليها من التّغيّر والاندثار، كما وضعت الكتب أو المعاجم التعليمية أو المعيارية التي راقبت استعمال اللغة وأشارت إلى الأخطاء التي يقع فيها مستخدمو اللغة، ودلّت على صوابها، ككتاب لحن العامة للكسائي، وإصلاح المنطق لابن السكيت، ودرة الغواص في أوهام الخواص للحريري، ولحن العوام للزبيدي وغيرها ولا يزال هذا النوع من التأليف مستمراً حتى عصرنا الحاضر. ولم تكتف العامية بمهاجمة النحو، بل استمر زحفها لينال كل جوانب الفصحى، فبدأت تعمل من أجل انحراف التراكيب اللغوية الفصيحة، هذا الانحراف الذي ربما كان نهاية المطاف بالنسبة للغة الفصحى، لأن الانحراف في التراكيب اللغوية والأساليب الكتابية يعني بداية ظهور لغة جديدة . وقد تابع ابن خلدون تدوين ملاحظاته حول الانحرافات التي أصابت العربية نتيجة الاحتكاك بغيرها من اللغات، تلك الانحرافات التي أصبحت متداولة بين مختلف طبقات المجتمع الإسلامي آنذاك ومسموعة على معظم الألسنة، قال: " إنه لمّا فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم، وسبب فسادها أن الناشئ من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب فيُعبِّر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم، ويسمع كيفيات العرب أيضاً، فاختلط عليه الأمر، وأخذ من هذه وهذه، فاستحدث ملكة كانت ناقصة عن الأولى، وهذا معنى فساد اللسان "(٢٦)

نتيجة لهذا الاحتكاك، ظهرت أشكال تعبيرية وأسلوبية تخالف ما عند العرب من الأساليب والتعبيرات، إنها أساليب وتعابير اقتبسها النشء الجديد من اللغات الأخرى، إلى جانب أشكال تعبيرية وأسلوبية أخرى هي مزيج من أسلوب العربية

وطرائقها في التعبير، وأساليب اللغات الأخرى وطرق تعبيرها، هذه الأشكال الأسلوبية أشبه ما تكون بما يعرف الآن باسم اللغة الهجين Pidgin، وهي لغة تنشأ عن اتصال متحدثي لغتين مختلفتين ببعضهم، علماً أن كل طرف لا يتحدث لغة الآخر، وهي نتيجة مبدئية للتفاعل بين الثقافات المختلفة، ثم تظهر اللغة المولَدة Creole بعد استقرار تلك اللهجة الهجين، وتصبح لغة الاستعمال اليومي للناطقين بعد مرور جيل أو أكثر .

هذه الانحرافات التي ظهرت في العربية أبرزت ملامح العامية ومظاهرها وعملت على تأصيلها، وهذه العامية قامت بتشكيل الازدواج اللغوي الذي يشترط لنشأته شروط معينة، يقول فرغسون: " والمرجح أن الازدواج اللغوي ينشأ عندما تتوفر الشروط الثلاثة التالية في مجتمع بعينه :

١ - إذا توفرت مادة أدبية كبيرة بلغة ذات صلة وثيقة " أو حتى مماثلة " باللغة الأصلية للمجتمع، وهذه المادة الأدبية تُجسِّد – سواء بوصفها مصدراً " وحي سماوي مثلاً " أو تعزيزاً – بعضاً من القيم الأساسية للمجتمع.

٢ - عندما تكون الكتابية Literacy في المجتمع مقصورة على نخبة قليلة .

٣ - عندما تمر فترة زمنية تقدر بعدة قرون على توفر الشرطين أو الحالتين الأوليين، ويمكن على الأرجح أن نثبت أن امتزاج هذه الظروف الثلاثة قد حصل مئات المرات في الماضي، ونتج عنه الازدواج اللغوي "(٢٧) بناء على هذا التحديد وهذه الشروط يمكن القول إن الازدواج اللغوي ظهر في اللغة العربية عدة مرات، ربما كان آخرها هذا الازدواج الذي نعيشه الآن، لاكما يذهب البعض أن الازدواج لم يظهر في العربية إلا بعد الفتوحات الإسلامية، إذ لا يتصور أن العربية منذ أن وجدت وخلال عمرها الطويل لم تتطور ولم يظهر فيها انحرافات إلاّ بعد الفتح الإسلامي، وخير دليل على صحة هذا القول هو ذلك العدد الكبير من اللهجات العربية التي غطت شبه الجزيرة العربية فترة طويلة غير معروفة البداية، إلى أن تمَّ ظهور اللغة المشتركة التي تكونت من مزيج منتخب من تلك اللهجات، هذه اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، وأصبحت المعيار الحقيقي للفصاحة والبلاغة، والتي أطلق عليها اسم الفصحى في مقابل العامية، فالفصحى هي لغة القرآن والتراث

العربي، وهي التي تستخدم في الكتابة وفي تدوين العلوم والفنون والإبداعات كافة، إنها لغة العلم والدين. أما العامية فهي لغة الحديث اليومي والأمور العادية .

إذا أردنا أن نضع تاريخاً للعامية الحديثة، فإننا يمكن أن نقول إن العامية ظهرت منذ الفتح الإسلامي بعد أن اختلط العرب بالأمم الأخرى، واستمرت هذه العامية في تأسيس بنيتها وتجذيرها، ومخاصمة الفصحى حتى تميزت بشكل واضح الملامح والقسمات، واتضحت سماتها في كل جوانب اللغة ومستوياتها، فظهرت في الجانب الصوتي، وفي الصيغ والتراكيب وطرائق التعبير حتى شملت المادة اللغوية كلها . وقد تنبه علماؤنا لهذا الأمر، ورصدوا تلك التطورات ووضعوا الكتب والمؤلفات الكثيرة التي تنبه على فداحة الأمر، وتحذّر من سوء العاقبة، كل تلك الجهود لم تستطع أن توقف زحف العامية وخطرها على الفصحى، وإن لم يستطع علماؤنا أن يمنعوا تغيّر اللغة، إلاّ أنهم استطاعوا " أن يؤخروا ذلك يحصروه في حدود ضيقة، فلم تنشأ عند العرب بفضلهم وبفضل دراسة القرآن التي كانت أساس الثقافة الإسلامية لغات أخرى، كما نشأت اللغات الرومانية من اللغة اللاتينية، ولا تزال لغة الكتابة حتى أيامنا هذه قريبة من اللغة القديمة، من حيث التزامها بقواعد اللغة على الأقل، على الرغم مما أصاب لغة الكلام من تغيّر كبير"(٢٨) واستمر هذا الخطر ينمو ويزداد حتى عصرنا الحاضر، فلا زلنا نعيش حالة من الازدواج اللغوي المخيف الذي ينذر استمراره بعواقب وخيمة .

إن خطر هذا الازدواج المتمثل في اللغة العامية يكمن في جوانب أساسية كبيرة من جوانب حياتنا، فالفصحى التي هي لغة العلم والدين هي الوطن الروحي لنا، إنها رمز للوحدة والتواصل بين أفراد الأمة العربية، أما العامية فإنها الخصم الحقيقي لأي توحُّد أو تقارب، إنها دليل التعدد والتمزق ورمز للفرقة والتباعد، إنها نذير انهيار لكل منجزات الأمة وتفتيت لجهودها .

إن نمو العامية لا يكون إلاّ على حساب اللغة الفصحى، إنها تصارع الفصحى من أجل البقاء والسيادة، فإذا تحقق لها ذلك وأصبحت لغة أدبية مكتوبة، انتقلت إلى الثبات وازدادت قوة وخلّفت الفصحى وراءها، ثم تأخذ تلك الفصحى بالتقوقع

والاندثار، ثم الاضمحلال شيئاً فشيئاً إلى أن يتركها المتكلمون ولا يبقى لها وجود في المجتمع .

كما أن هذه الازدواجية رمز للتخلف الفكري والحضاري، و عائق لكل تطور اقتصادي، وهي تعيق كل محاولات النهوض بالتعليم والتربية، إلى جانب كونها تحول دون قيام وسائل الإعلام وأجهزة الاتصال بدورها الحقيقي، يقول سوتيرو بولص : " وإن تكن الازدواجية وبشكل موضوعي أداة بارعة للضرورة فإنها من وجهة النظر الاقتصادية والتماسك القومي وفعالية التعليم والاتصالات وأجهزة الإعلام لعائق"(٢٩) هذه الازدواجية رمز للصراع بين طبقات المجتمع، إنها عنوان للصراع الاجتماعي الذي يقضي على كل تماسك بين أفراد المجتمع ويؤدي في النهاية إلى تفتيت المجتمع إلى فئات متصارعة تعمل كل فئة لمصلحتها الخاصة، وتصارع الفئات الأخرى للقضاء عليها، مما يترتب عليه إفشال كل محاولة للإصلاح في أي جانب من جوانب الحياة، والحيلولة دون أي تطور أو تقدم لصالح المجتمع، إنها رمز للانحطاط والتخلف ." فالأمة الواعية هي المنسجمة طبقاتها في بوتقة واحدة وهي التي تدور طبقاتها في فلك واحد يكون وليد ذهنية واحدة وعقلية واحدة وعبقرية واحدة، وروح واحدة . فإذا كان لكل طبقة لغة انعدم الانسجام، وقامت الشقوق في صرح الأمة. اللغة حياة، والإنسان لايستطيع أن يتكلم لغة ما دون أن يميل بعض الميل نحو شعبها، دون أن يتلبس عبقريتها بعض التلبس، فإذا كانت الطبقة المثقفة تتكلم لغة ما، والطبقة غير المثقفة تتكلم لغة أخرى، دبّ التفسخ في بيت الأمة"(٣٠).

يبدأ الطفل من أطفالنا باكتساب اللغة العامية التي يسمعها ممن حوله، يتلقاها تلقياً مباشراً على مرّ الأيام، فيتعامل بها ويتقنها، وتستقر في وجدانه وذهنه، تمده بكل مايحتاج إليه من كلمات وتعابير،وعند دخوله إلى المدرسة يبدأ بتعلّم العربية الفصحى غير المألوفة لسمعه وفهمه، فيجد في تعلمها عنتاً ومشقة، ويحسّ بأنه يتعلم لغة أجنبية بعيدة عما اكتسبه وألفه من اللغة، هذا الإحساس يخلق عنده نفوراً من هذه اللغة التي تفرض عليه فرضاً، فيجد صعوبة بالغة في تعلمها، ويُقدِم على هذا الأمر وكأنه شرّ لابد منه،وهذا يوجب عليه أن يبذل مجهودات مضنية في تعلمها، وإهدار

وقت طويل في محاولة الترجمة بين الفصحى والعامية ولا يمكنه إتقان الفصحى كما يجب، لأنه يلجأ إلى مخزونه اللغوي من العامية يستعين به عند الإجابة أو الكتابة ولولا هذا الازدواج لأمكن للطفل تعلم العربية الفصحى بسهولة ويسر، إنه المسؤول عن التعثر في تعلم العربية لأبنائها، فهذه الازدواجية من أهم أسباب عزوف الطلاب عن تعلم الفصحى، وهي التي تعيق تعلمهم لها، "كما أن التدريس بالعامية يجعل الناشئ يعيش حالة ازدواجية أو فصاماً لغوياً، ويعاني من لغة تتصارع مع مولود لها معقد التركيب، أو مولود (غير شرعي) لابد أن يوهنها صراعه، لأنه يحتل مواقع مهمة في المجتمع وجوانب مختلفة من حياة الفرد"(٣١).

هذا الازدواج يخلق عند الطفل آثاراً نفسية سلبية بالغة الضرر، إذ يوقعه دائماً في حيرة وتردد في فهمه للتعبيرات والجمل التي يسمعها، فيجد نفسه بين خصمين يتجاذبانه، مما يجعله غير قادر على تحديد الاتجاه الذي يريده، واللغة التي يود استعمالها، غير مطمئن لتعبيراته وتراكيبه، غير واثق مما يقول، سريع التراجع عن إجاباته.

هذا الازدواج يؤدي إلى ضعف المستوى اللغوي، ويؤدي بالتالي الى قتل الإبداع بكل أنواعه، فالشخص الازدواجي الذي يعيش حالة من التردد والحيرة لن يكون مبدعاً، إذ الإبداع يتطلب إتقاناً تاماً للغة، بالسيطرة الكاملة على ألفاظها ومعانيها، والمقدرة الفائقة على التصرف في استخدام صيغها وتراكيبها، الإبداع هو الإمساك التام بناصية اللغة فإن تحققت هذه الأمور مجتمعة لكاتب أو لأديب، استطاع أن يصوغ العبارات والجمل بكل سهولة، وأن يعبّر عما يدور بخلده من المعاني والأفكار بكل يسر، ولن نتوقع الإبداع من أي شخص مهما كثر علمه وزادت ثقافته ما لم يكن متقناً للغته. إن تلك المعاناة التي يعاني منها كثير من أدبائنا وكتّابنا، وتلك الحيرة الدائمة المسيطرة في كل فنون الأدب ناتجة عن عدم إتقان العربية الفصحى إتقاناً تاماً. من هنا ندرك أن هذه الازدواجية اللغوية التي نعيشها هي التي توصلنا إلى الانفصام في أدائنا الفكري، وهي السبب الوحيد في تصدع البنية الثقافية لأمتنا، كما أنها المسؤولة عن هذا التبديد القاتل لكل جهودنا ومجهوداتنا التربوية، إنها عدوة كل

تطور فكري أو حضاري .

كما تعمل الازدواجية على خنق الفصحى، وتقف حائلاً دون انتشارها خارج نطاق الوطن العربي، إنها تمنع أن يكون للفصحى بعدٌ عالمي، فإذا رغب الأجنبي في تعلم اللغة العربية، فإنه يتعلم العربية الفصحى، وإذا حادث أبناء العربية استخدم الفصحى التي قد يصعب فهمها على جمهور الناطقين بالعربية، فلا يستطيعون مجاراته، ولا يقدرون على نقاشه ومحاوراته، فينتج عن حوارهم هذا فهم مشوش غير واضح المعاني والمقاصد، وهنا ينقطع الاتصال ويتوقف الحوار . وإذا كان هذا الأجنبي قد تعلم العربية مشافهة في إحدى البيئات العربية، فإنه يتعلم عامية تلك المنطقة أو البيئة التي عاش فيها، فإذا انتقل إلى بيئة أو منطقة عربية أخرى انغلق عليه فهم عاميتها وصعب على أهل تلك المنطقة فهم العامية التي يجيدها هو، فالازدواجية في الحالتين كلتيهما وقفت كالجدار الذي يحول بيننا وبين أمانينا ورغباتنا في نشر لغتنا في أرجاء العالم .

إزاء هذا الخطر الداهم من العامية، وإزاء أهمية هذه القضية في حياة أمتنا، تباينت مواقف علمائنا ومفكرينا في العصر الحديث حيال الازدواجية، فموقف يرى أصحابه أن الازدواج اللغوي أمر معروف في كل اللغات وليس حكراً على العربية وحدها(٣٢)، إنه تطور لغوي طبيعي، بل إنه إحدى السمات الحضارية عند الشعوب، إذ أن البدائيين وحدهم هم الذين لا يوجد عندهم مثل هذا الازدواج (٣٣) . وفريق آخر يرى أن استمرار العامية يعني تشرذم الفصحى إلى لغات أخرى كما حدث للاتينية فاعتبر محاربة العامية أمراً جوهرياً لابد منه(٣٤)، ووضعوا مجموعة من المقترحات لمحاربة هذا الخطر الناتج عن الازدواج اللغوي تمثلت فيما يلي :

أن نسموا بالعامية إلى الفصحى، أي أن نحارب العامية تدريجياً فنترك خصائصها واحدة تلو الأخرى حتى تنتهي باندماج تام في الفصحى، وأصحاب هذا الرأي مخلصون للغتهم وأمتهم، أدركوا خطر العامية ومايترتب عليه ورأوا أنه لا بد من المحافظة على الفصحى بالقضاء على العامية، ويذهب بعض قصار الهمة إلى القول بأن هذا الأمر مستحيل ولا يمكن تحقيقه، إذ من المستحيل أن نرد العامية إلى الفصحى،

لأن العامية أكثر سهولة ويسر وليس لها قواعد تحكم استخدامها كما هو الحال في الفصحى ، وفي الحقيقة أن هذا القول فيه كثير من الصواب وليس كله صواباً ، فردّ العامية إلى الفصحى أمر عسير وصعب لكنه غير مستحيل، إذا كنا نؤمن بأن وجود العامية يعني قضاء على الفصحى، وأننا في صراع مرير مستمر مع العامية صراع نخوضه من أجل البقاء، وكأننا نقوم بترميم ما انهدر من خصائص الفصحى وسماتها كما يقوم صاحب البيت بترميم بيته الذي عملت فيه العوامل الطبيعية عملها، فيرممه ليحافظ عليه ويعود البيت كما كان، لكن هذا الترميم لن يدوم طويلاً، لأن العوامل الطبيعية تستمر في تأثيرها السلبي في ذلك البيت الذي يتأثر بها، فيقوم صاحبه بترميمه ثانية فالصراع مستمر، وهكذا نحن إذا حاولنا أن نسمو بالعامية إلى الفصحى، فإننا نقوم بدفع هذه العامية إلى أعلى حتى تندمج في الفصحى دون أن تتخلى هذه الفصحى عن أي شيء من صفاتها وخصائصها، وعلينا أن نبقى متأهبين لمقاومة هذه العامية كلما بدأت في الظهور وهكذا .

وذهب فريق آخر إلى القول بأن خير علاج لمشكلة الازدواج في مجتمعنا هو أن نستبدل لغة أجنبية باللغة العربية (فصحى وعامية)، هذا القول ساقط من أصله ولا يمكن أن يكون، لأنه فناء للذّات العربية بفناء لغتها، لأن استبدل اللغة الأجنبية باللغة العربية يعني الخروج النهائي من المجال العربي والدخول إلى إطار أجنبي كما حصل في بعض الدول مثل مالطا. ونسي أصحاب هذا الرأي أن اللغة الأجنبية الجديدة التي يريدون إحلالها محل العربية لن تستمر طويلاً في وحدتها، بل ينشعب عنها عدد من العاميات جراء استخدامها وتطورها، فنعود إلى ما كنّا فيه من الازدواج اللغوي .

ويرى فريق ثالث أن علاج هذه الازدواجية يكون بنوع من الملاقاة بين الفصحى والعامية. هذا القول نابع إما عن سوء نيّة وإما عن جهل وعدم معرفة وهو يبدو للوهلة الأولى، ولغير المدققين فيه أنه الصواب، وأنه لا يخلّف أي أضرار على الفصحى، لكنه في الحقيقة يدس السم في الدسم، إذ المقصود منه في النهاية التخلي التدريجي عن الفصحى، لأننا عند قبولنا مستوى جديداً بين الفصحى والعامية نكون قد تنازلنا عن جزء من خصائص الفصحى لصالح العامية، أي أن الفصحى تكون قد خسرت من

سماتها بحجم ما تنازلت عنه، ولن يقف الأمر عند هذا الحد لأن هذا الوضع اللغوي الناتج لن يستمر طويلاً على ما هو عليه، فبعد جيل أو جيلين سيظهر ازدواج لغوي جديد يفرض التخلص منه علينا عمل نوع من الملاقاة كما حدث سابقاً فيتم التنازل عن شيء جديد من خصائص الوضع اللغوي الذي قبلناه في المرة الأولى، وهكذا يستمر ظهور الازدواج، ويستمر معه التنازل من أجل الملاقاة، وهكذا إلى أن تنتهي كل صفات الفصحى وخصائصها لصالح العامية، فهذا الرأي يطالب – وبطريقة غير مباشرة – بإحلال العامية محل الفصحى .

ورأى فريق رابع أن علاج هذا الازدواج يكون باعتماد لغة مثقفي العرب أو عربية المثقفين Educated Arabic ، التي ليست إلاّ اسماً جديداً للعاميات داخل أقطار الوطن العربي، أو داخل كل قطر من هذه الأقطار، إنها لغة الحوار الذي يدور بين المتكلمين من أقطار عربية مختلفة، وقد أجريت على هذا النمط اللغوي عدة دراسات اتفقت نتائجها على " أن ترتيب الكلام يبقى عامياً، كذلك يبقى النحو الصرف عامياً، ولكن هناك ميلاً لاختيار الألفاظ من الفصحى، كما أن هناك ميلاً لاستعمال أصوات الفصحى وخاصة الصحيحة منها، لكن هناك انتقالاً للاصطلاح الأجنبي في كثير من الأحيان"(٣٥) إن هذا الشكل من اللغة ليس إلاّ خليطاً من العامية والفصحى وهو أقرب إلى العامية وأبعد من الفصحى، أي أن هذه العربية الوليدة (عربية المثقفين) لاتستطيع الخروج عن العامية، بل تبقى العامية هي المسيطرة على الموقف في كل مجالات اللغة أصواتاً وصرفاً ونحواً وتراكيب ودلالة، ويمكن القول إن هذا النمط من اللغة هو عامية بها بعض الألفاظ الفصيحة.

هذا الحديث ربما قادنا إلى الحديث عما عرف بالعربية الحديثة Modern Standard Arabic هذه اللهجة التي ظهرت في العربية بسبب وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، إنها عربية الصحافة من صحف ومجلات . كما تُقدّم بها البرامج الثقافية والإعلامية والإخبارية من المذياع والتلفاز، هذا النمط من اللغة مختلف عن الفصحى، ويزعم البعض أنه تبسيط لهذه الفصحى في بعض خصائصها حتى يمكن أن يفهمه كل عربي يستطيع القراءة والكتابة، هذا النمط يختلف عن الفصحى في

استخدامه الشائع من الألفاظ، والتساهل في الاقتباس من اللغات الأخرى، وما يترجم من تلك اللغات .

ورأى فريق آخر أن الحل لهذه القضية والخلاص من الازدواجية التي نعيشها هو إحلال العامية محل الفصحى في كل مجالات حياتنا، وهذا يعني إلغاء الفصحى التي كتب بها تراثنا العربي الإسلامي على مدى قرون طويلة، كما يعني قطع الصلة بين مستقبلنا وماضينا، وحرمان أجيالنا القادمة من الإفادة من تراث أجدادهم، كما أن هذه العامية ستجزئ العالم العربي إلى دويلات مختلفة لا يربطها رابط .

إن هذه العامية التي روج ولا يزال يروّج لها بأشكال مختلفة وأساليب متعددة، بدراسة الأدب الشعبي واعتماده في مقررات الجامعات حيناً، وبالشعر الحر حيناً ثانياً، وبلغة المثقفين حيناً آخر، لها أخطار جسيمة على العربية الفصحى وعلى الفرد والمجتمع وعلى الأمة كلها. فلا يمكن أن تفي هذه الأنماط العامية المختلفة والمتصارعة بحاجات الأمة، إنها أنماط هزيلة لا تستطيع أن تزود الفرد بما يحتاج إليه من ألفاظ وأساليب تعبير في حواره أو فيما يكتب، ولن تكون مقبولة هنا في مجال الكتابة، كما أنها تغلب عليها الإقليمية الضيقة والعنصرية البغيضة " ولو افترض أن العامية وافية بحاجات التخاطب الاجتماعي العادي، فإن هذا الوفاء محدود بحدود جغرافية ضيقة، هي حدود البيئة المحلية التي يعيش فيها الفرد، وإن تجاوزت ذلك فإلى حدود الإقليم الواحد، ولو تجاوزت فرضاً حدود بيئتها الخاصة فإن تلقيها واستيعابها سيكون محدوداً بمجال التخاطب المنطوق فقط، أما في مجال التخاطب المكتوب فلا تكون مقبولة إلاّ في حالات نادرة، وفي البيئات المختلفة فكرياً وثقافياً في الغالب . وحتى لو قبلت فإن استخدامها لا يتجاوز التعبير عن مواقف أو نوازع عاطفية محدودة، أما في مجال التعبير عن الأمور الثقافية أو الفكرية أو الفلسفية فإنها تقصر وتضيق وتحوج المتحدث إلى الفصحى – إذا كان عارفاً بها والاستعارة من مفرداتها وصيغها وتراكيبها للوفاء بمراده"(٣٦) من هنا تتضح لنا الصورة القاتمة للعربية الفصحى والحالة المزرية للأمة العربية لو كتب للعامية أن تنتصر، ولن يكون لها ذلك إلاّ بالقضاء على الفصحى الذي سيؤدي إلى تمزيق الأمة العربية لتصبح أمماً متناحرة وقبائل متصارعة، إن الازدواجية

اللغوية التي نحياها هي الخطر الأول الذي يحدق بالعربية الفصحى ، والخطر الثاني هو الثنائية اللغوية، الذي تزيد خطورة عن خطورة الازدواجية

الثنائية اللغوية :

هذا المصطلح ترجمة للمصطلح الإنجليزي Bilingualism ، وقد تباينت آراء اللغويين حول ظاهرة الثنائية اللغوية واختلفت تعريفا تهم لها ، وكان مقدار إجادة اللغات هو المعيار الأساسي لتلك التعريفات، فقد عرفها بلومفيلد Bloomfield بأنها إجادة الفرد التامة للغتين (٣٧)، وعرفها مكنمارا Macnamara بأنها امتلاك الفرد للحد الأدنى من مهارة لغوية واحدة في لغة ثانية (٣٨) أما ألبرت Albert و أوبلر Obler فقد اتخذا في تعريف هذه الظاهرة موقفاً وسطاً ، فذهبا إلى أنها الاستخدام المثالي للغتين أو أكثر(٣٩)، ومنهم من يرى أن معرفة اللغة تبدأ من لحظة معرفة جملة فيها(٤٠) هذه التعريفات تشير في مجملها إلى الثنائية اللغوية الفردية Individual Bilingualism أما محمد الخولي فقد عرفها بطريقة أكثر دقة وشمولية فقال: الثنائية اللغوية هي استعمال الفرد أو الجماعة للغتين بأية درجة من الإتقان ، ولأية مهارة من مهارات اللغة ، ولأي هدف من الأهداف(٤١).

وجدت هذه الظاهرة منذ وجود الإنسان ، حيث وجدت لغته معه ، ثم بدأت هذه العناصر البشرية تُكوِّن جماعات مختلفة ، وتنتقل بحثاً عن مقومات الحياة ، فعاشت في مناطق مختلفة على سطح الأرض، وأصبح لكل جماعة لغتها الخاصة التي تميزها من غيرها ، ولم يكن ليمكن لهذه الجماعات أن تعيش مستقرة في مناطقها دون تحرك ، ومنعزلة عن غيرها انعزالاً تاماً ، لقد كانت دائمة الحركة والتنقل بحثاً عن مقومات الحياة ، وترتب على هذا التنقل وهذه الحركة والاحتكاك بين الجماعات اللغوية المختلفة ظهور الثنائية اللغوية . من هنا يمكن القول إن هذه الظاهرة قديمة قدم الحياة البشرية . وقد استمرت هذه الظاهرة في النمو والاتساع لكثرة وسائل الاتصال بين المجتمعات المختلفة كالتجارة والعمل والهجرة وغيرها ، كما ساهمت وسائل الاتصال في العصر الحديث في جعل هذه الحركة أكثر سهولة ويسرا .

وإذا أردنا تحديد منشأ هذه الظاهرة والأسباب التي أدت إلى ذلك، فإنها نشأت في ظل ظروف مختلفة أهمها :

الهجرة الجماعية :

التي تحدث لأسباب اقتصادية أو سياسية أو دينية أو اجتماعية وغيرها ، فقد تهاجر أعداد كبيرة من البلاد الفقيرة إلى بلاد أكثر غنى، بحثاً عن العمل، وهرباً من الفقر والجوع والمرض، كما حصل من هجرة أعداد غفيرة من العمال من دول العالم الثالث إلى دول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية . كما يؤدي الاضطهاد السياسي الذي يحدث في بعض المجتمعات إلى نزوح أعداد كبيرة من أبناء هذه المجتمعات إلى دول أخرى هرباً من القمع والاضطهاد ، وبحثاً عن الأمن والسلامة كما حصل لعدد كبير من المواطنين الروس الذين تركوا بلادهم بعد ثورة ١٩١٧م . كما تحصل الهجرة نتيجة لما يلاقيه بعض الشعوب أو الأقليات من ممارسات سلبية ضد معتقداتها وأديانها فتجبر على ترك أوطانها والهجرة إلى بلاد أخرى صوناً لدماء أفرادها وحفظاً لمبادئهم ومعتقداتهم، كما حصل من هجرة أعداد كبيرة من أبناء الشعوب التي وقعت في إطار الاتحاد السوفيتي . ومن أسباب الهجرة كذلك مهنة التجارة التي تؤدي ممارستها إلى انتقال أعداد من أبناء هذا المجتمع أو ذاك إلى مجتمع آخر يختلف معه في اللغة وطرق العيش، وهذا بدوره يؤدي إلى احتكاك لغوي - ينتج عنه فيما ينتج - ظاهرة الثنائية اللغوية .

الغزو العسكري والاحتلال:

قد تغزو أمة أمة أخرى لسبب من الأسباب مما يترتب علية انتشار اللغة الغازية التي تبدأ بمحاولة فرض هيمنتها وسلطانها على اللغة المغزوة التي تقاوم تلك الهيمنة وذلك السلطان بكل طاقاتها وإمكاناتها ، ويبدأ صراع مرير بين اللغتين يؤدي في النهاية إلى انتصار إحداهما ، أو إلى التهادن والتعايش داخل المجتمع، وهناك عدة عوامل تتحكم في هذا الأمر وتؤدي إلى إنجاح اللغة الغازية وإدامة انتشارها كطول مدة الاحتلال : فكلما طالت مدة هذا الاحتلال نجحت اللغة الغازية في الانتشار والديمومة .

وكالمصلحة : فإذا وُجِدت مصلحة للشعب المغزو من وجود الغازي طالت مدة الاحتلال، وكذلك مدى التفاعل بين الشعبين، فإذا قبل الشعب المغلوب هذا الأمر أو اقتنع به وبدأ يتعامل مع المحتل بطريقة إيجابية فإن أمد الاحتلال سيطول، وسينتج عن هذا الاحتلال احتكاك لغوي يؤدي إلى ظهور الثنائية اللغوية

الإلحاق والضم Annexation

يحدث هذا عندما تقوم دولة بفرض سلطانها على دول أخرى، وفرض لغتها لغة رسمية لتلك الدول، كما حدث عندما قام الاتحاد السوفيتي بضم دول البلطيق (ليتوانيا، واستوانيا، ولاتفيا) إلى سلطانه، وفرض اللغة الروسية لغة رسمية لهذه الدول، مع بقاء لغاتها الأصلية لغات قومية تستخدم في الاتصال بين الأفراد وفي الأمور العامة . ويؤدي مثل هذا الضم إلى ظهور الثنائية اللغوية .

الحس القومي :

معظم دول العالم تضم قوميات وأعراقاً مختلفة، إحدى هذه القوميات تمثل الأكثرية أو الغالبية، وماعداها تمثل الأقليات، فإذا أثيرت النعرة القومية لسبب أو لآخر في مجتمع ما ، فإن معنى ذلك بداية التمييز العنصري بين أفراد الشعب، وسيترتب على المناداة بالقومية أن تهب الأقليات للدفاع عن ذاتها وتعمل بكل طاقاتها على إحياء قومياتها مطالبة بالاعتراف بها كأجناس، وأول ما تطالب به الاعتراف بلغاتها القومية لغات رسمية في مناطقها، وستستجيب الحكومة المركزية في ذلك البلد لمطالب الأقليات وتعترف بلغاتها لغات رسمية كل في منطقته وذلك يعني اعترافا بالثنائية اللغوية.

المصاهرة والتزاوج :

التزاوج بين الأجناس وأبناء القوميات المختلفة سبب من أسباب ظهور الثنائية، لأن الأبناء سيتعلمون اللغة التي يسمعونها، فسيأخذون شيئاً من لغة الأم وشيئاً من لغة الأب، فهم بهذا يمارسون الثنائية اللغوية، وهذه الثنائية المستخدمة في المنزل تسمى ثنائية منزلية أو بيتية Home bilingualism

العقيدة والدين :

إذا انتشرت عقيدة أو ديانة معينة في هذا البلد أو ذاك، فإنها ستحمل لغتها معها إلى ذلك البلد ، وسيؤدي اعتناق تلك الديانة إلى انتشار لغتها في ذلك البلد ، وقد حمل الدين الإسلامي اللغة العربية إلى البلدان التي فتحها المسلمون، وانتشرت العربية فيها ، وصارعت لغاتها القومية وانتصرت على كثير منها حتى أصبحت العربية اللغة الأولى في تلك المناطق، وهذا الانتشار للعربية أدى إلى ظهور الثنائية اللغوية في تلك الأقاليم .

يكتسب الفرد هذه الثنائية بطرائق مختلفة خلال سني عمره من خلال احتكاكه بمن يتحدثون لغة غير لغته الأصلية، وربما اكتسبها من المدرسة التي تعتمد لغة تعليم غير لغته، وقد يكتسبها في مراحل التعليم الجامعي، ولكل شكل من هذه الثنائية سماته وخصائصه التي تميزه عن غيره، وطرق اكتساب الثنائية اللغوية هي: " الطريق الأول: وهو أهم الطرق ويكمن في اكتساب اللغة الثانية في مرحلة الطفولة سواء كان هذا الاكتساب متزامناً مع اكتساب اللغة الأصلية أو يفصل بينهما بعض الوقت - - - - والطريق الثاني من طرق اكتساب الثنائية اللغوية يتمثل في حالة الطفل الذي ترعرع وهو يتحدث بلغة واحدة مع أسرته، ولكن عند دخوله المدرسة واجه لغة ثانية هي لغة التعليم، وقد تكون أيضاً لغة المجتمع الذي يعيش فيه . ومثل هذا الوضع يحدث كثيراً للأطفال الذين ينتمون إلى أقليات لغوية أو أسر مهاجرة من بلد له لغة مختلفة . والثنائية اللغوية المكتسبة بهذه الطريقة قد تكون عميقة نسبياً ولكن عدم التوازن سيكون ظاهرة واضحة بسبب اختلاف الأوضاع الاجتماعية واختلاف وظائف كل من اللغتين، وسوف يستمر الطفل في استعماله اللغة الأصلية للأغراض اليومية والشخصية محتفظاً باللغة التي تعلمها في المدرسة للاتصالات الأكثر رسمية والوظائف الاجتماعية الأعلى . والطريق الثالث من طرق اكتساب الثنائية اللغوية يكون من خلال اكتساب لغة ثانية بعد سن الطفولة عن طريق الاتصال الدائم والمباشر مع هذه اللغة في المجتمع الذي يتحدثها - - - والطريق الرابع لاكتساب الثنائية ويعتبر عكس ما قبله وهو يتمثل في اكتساب اللغة الثانية عن طريق الدراسة الأكاديمية لشخص ما في مجتمعه . وهذه الطريقة هي المتبعة عادة في

اكتساب اللغات الأجنبية، وهي كمثيلتها السابقة، درجة الاتقان اللغوي فيها كقاعدة عامة محدود جداً . والاختلاف بين الطريقتين يكمن في أن الأولى تتميز بطلاقة الحديث والكفاءة في الاتصال الشفوي، بينما تمتاز الثانية بالاهتمام بالبناء اللغوي وفهم المادة المكتوبة"(٤٢)

وتظهر هذه الثنائية في مجالات كثيرة من مجالات الحياة، وفي جوانب متعددة من جوانب المجتمع، مما يترتب عليه اختلاف أشكال هذه الثنائية باختلاف المجالات الاجتماعية التي تظهر فيها، وقد تحدث العلماء عن أنواع مختلفة من الثنائية اللغوية كانت محاورها في مجملها الفرد والمجتمع، والأسس التي يعتمد عليها في تحديد هذه الأشكال هي درجة الإتقان، والمستوى الذي تستخدم فيه هذه الثنائية وكذلك المكان، وتوزيع الاستخدام، وطريقة التعلم، والمهارات اللغوية والثقافية، والإنجاز اللغوي والتوقيت والتوازن والاختيار، نتج عن هذه الأمور أنواع متعددة من هذه الثنائية أهمها:

الثنائية الفردية Individual bilingualism

يتعلق هذا النوع من الثنائية بالفرد بشكل خاص، فإذا كان مدار الحديث الفرد ولغتيه، فإن معنى ذلك، الحديث عن الثنائية اللغوية الفردية وفي مثل هذه الحالة تتم دراسة الثنائية اللغوية كظاهرة فردية، وتسمى بالفردية لأنها تختص بالفرد وتنسب إليه، وللفرد مع هذا النوع من الثنائية حالتان، إما أن يكون قد ملك ناصيتي اللغتين الأولى والثانية، ويستطيع أن يستخدم كلاً منهما بطلاقة ويسر، يسمع الحديث باللغة الأولى، ويجيب عنه بنفس اللغة، كما يسمع حديثاً باللغة الثانية، ويجيب عليه بنفس اللغة، وإما أن يكون غير قادر على ذلك، فهو يتقن اللغة الأولى أكثر من الثانية، فإذا حادثه شخص باللغة الثانية فإنه لا يستطيع أن يجيب على ما سمع بنفس اللغة، بل يقوم بترجمة ما سمع إلى لغته الأولى، ثم يجيب عنه باللغة الأولى ويقوم بترجمة هذه الإجابة إلى اللغة الثانية، لذا فقد " فرق الباحثون بين نوعين من الثنائية اللغوية: الثنائية اللغوية المركبة، والثنائية اللغوية المتلازمة – لفت الانتباه إلى هذا الفرق أوسجود Os good في عام ١٩٦٥م بناء على الأفكار التي طرحها فاينرايخ Weinnreich في عام ١٩٦٣م –

ويمثل الفرق بين هذين النوعين بالآتي : الشخص الذي يستعمل الثنائية المتلازمة يستعمل في حقيقة الأمر نظامين لفظيين مستقلين ، أي أنه يفهم الرسالة التي وصلته بلغة (أ) باللغة نفسها ، ويستجيب باللغة نفسها ، وكذلك يفهم الرسالة التي وصلته بلغة (ب) باللغة نفسها ، ويستجيب باللغة نفسها . أما الشخص الذي يستعمل الثنائية اللغوية المركبة، فإن لديه نظاماً لفظياً راجحاً بلغة (أ)، بحيث عندما تصله الرسالة بلغة (أ) يفهمها ويستجيب باللغة نفسها ، على عكس مايحدث عندما تأتيه الرسالة بلغة (ب)، فهو يترجمها إلى لغة (أ) ليستطيع فهمها ، ويستجيب بلغة (أ) ثم يترجم الاستجابة إلى لغة (ب) لتوصيلها "(٤٣) إذن نحن أمام نوعين من الثنائية، إلاّ أن بعض العلماء لم يكن مقتنعاً بهذا التقسيم، واعتبر أن الثنائي هو الشخص الذي يتقن لغتين اتقاناً تاماً يستخدمهما بكل طلاقة دون تردد أو حاجة إلى الترجمة ، أما إن لم يكن قادراً على استخدام اللغتين بنفس الدرجة من الاتقان ولابد له من الترجمة، فهو في هذه الحالة متعلم لغة وليس ثنائياً . يقول أحد العلماء : " أصبح هذا التفريق بين نوعين من ثنائية اللغة مشهوراً ومقبولاً لدى كثير من الباحثين، ولكنه أيضاً واجه انتقادات شديدة على اعتبار أن الشخص الذي يتصف بالثنائية المركبة للغة والذي لايستطيع أن يفهم إلا بترجمتها إلى لغة ثانية هو في حقيقة الأمر ليس ثنائي اللغة على الإطلاق، بقدر ماهو متعلم للغة ثانية ، وهذا عكس الشخص الذي يستعمل الثنائية المتلازمة والذي يعتبر بحق ثنائي اللغة " (٤٤) فشرط الثنائية عند أصحاب هذا الرأي هو الإتقان التام لكلتا اللغتين واستخدامهما من نفس الفرد بنفس الدرجة وفي كل مهاراته اللغوية وأدواره الحياتية .

الثنائية المجتمعية Societal bilingualism

هذا النوع من الثنائية يعني دراسة هذه الظاهرة كظاهرة عامة في المجتمع، وتتناول هذه الدراسة العوامل اللغوية المتصارعة داخل المجتمع، وتفاعلاتها وتأثيراتها في ذلك المجتمع، وهذا يتطلب دراسة اللغات المستخدمة في هذا المجتمع، فتدرس اللغة الأقوى، ولغة الأكثرية، ولغة الأقلية . والغرض من كل هذه الدراسات وضع سياسة لغوية ناجحة في التعليم، وفي كل وسائل الإعلام، من صحافة وإذاعة وتلفاز . وهذه

الثنائية تعني أن هناك لغتين مستخدمتين في مجتمع ما ، كما أنها لا تعنى ضرورة استخدام كل فرد من أفراد المجتمع للغتين .

الثنائية الأفقية Horizontal bilnigualism

إذا استخدم أفراد مجتمع ما لغتين مختلفتين بطريقة متكافئة ، وبنفس المكانة الاجتماعية ، وعلى كل المستويات الرسمية والشعبية والتعليمية ، فإن هذا يعني وجود ثنائية لغوية أفقية في ذلك المجتمع . وقد جاءت هذه التسمية نتيجة لتساوي اللغتين في المكانة ، وتناظرهما في الاستخدام . أما إذا كانت اللغتان لهجتين للغة واحدة ، إحداهما اللغة الفصحى أو العالية وهي التي تتمتع بمكانة عالية وتستخدم في مستويات اجتماعية معينة وثانيتهما اللهجة العامية أو الدارجة وهي أقل شأناً من سابقتها وتستخدم في الحياة العامة ، ولا ترقى إلى المستويات الرسمية أو الثقافية ، في مثل هذه الحال يطلق على الثنائية اللغوية اسم الثنائية الرأسية Vertical Bilingualism ، كما يطلق عليها اسم الثنائية اللهجية ، وتعرف كذلك بالازدواجية اللغوية .

وقد توجد ثنائية من نوع آخر تجمع بين لغة فصيحة ولهجة عامية من لغة أخرى كما هو الحال مع سكان لويزيانا الأمريكية حيث توجد اللغة الإنجليزية إلى جانب المحلية الفرنسية وهذا النوع من الثنائية يطلق عليه اسم الثنائية القطرية Diagonal bilingualism .

ولدرجة الإتقان دور في تفرع الثنائية اللغوية ، إذ أن معرفة اللغة تبدأ بمعرفة أول جملة من جملها ، وتتدرج صعوداً إلى درجة الإتقان ، فالإتقان إذاً عامل هام في الثنائية اللغوية ، فعندما يتقن الفرد لغته الأولى إتقاناً تاماً ، ثم يتقن لغة ثانية إتقاناً تاماً أيضاً ، فإن هذا يعني أن هذا الفرد ثنائي مثالي ، ويدعى هذا النوع من الثنائية ، الثنائية اللغوية المثالية Ideal bilingualism ، وهذه الثنائية تعني إتقاناً تاماً للغتين معاً . وإذا تحدث الثنائي المثالي أو كتب بأي لغة من لغتيه فإننا لا نستطيع أن نلمح أثراً لإحداهما على الأخرى ، وهذا الثنائي المثالي يتقن جميع المهارات اللغوية للغتيه ، ويمكنه استخدام لغتيه في جميع الظروف ولجميع الأغراض . وفي الحقيقة أننا لا نجانب الصواب إذا قلنا

إن هذا النوع من الثنائية افتراضي ممكن الوقوع ولكنه نادر جداً، " علينا أن لا نتعب أبداً من ترداد أن فكرة التملك التام للسان ما لا معنى لها أبداً " (٤٥) . فليس من الممكن أن تتساوى مهارات شخص ما في لغتين تساوياً تاماً، ففي الغالب تتفوق لغة على أخرى، كما أنه من النادر أن يتقن شخص ما لغتين بنفس الدرجة من الإتقان في كل المناسبات وتحت كل الظروف ومن أجل كل الأهداف " إن الهجرة من لغة أم إلى لغة أم لا تعني أن الإنسان قادر على أن يتقن لغتي أم أو أكثر في آن واحد للإنسان قدرة مطلقة فور ولادته على أن يتعلم أيّ لسان يفرض عليه، وأن يترك فيما بعد هذه اللغة في سبيل غيرها إذا استطاع ذلك . إن الإنسان لا يجيد الإجادة الكاملة إلاّ لغة أم واحدة . إذا هجرها ضعف زخمه فيها وتحولت طاقته إلى اللغة الثانية . وهذا يعني أن اللغة الأم تتسلط بعبقريتها على اللغات الأخرى التي يتكلمها الإنسان"(٤٦)

قد يكون هناك تساوٍ في الضعف في لغتين لدى فرد ما، أي أنه بدأ في تعلّم اللغة الثانية، وانقطع عن لغته الأولى مما جعله يبدأ في نسيانها تدريجياً، ولم يستطع إتقان اللغة الثانية، وكأنه وقف في منتصف المسافة بين الإتقان وعدمه لكل من اللغتين فأصبح ذا لغتين جديدتين وبلا لغة أم، ويطلق عليه في هذه الحالة نصف لغوي Semilingual .

أما إذا بدأ الفرد في تعلم اللغة الأولى واللغة الثانية، ووصل في إتقانهما إلى درجة كبيرة، دون أن يصل إلى مستوى الإتقان التام أو المثالي، سميت هذه المرحلة من الثنائية بالثنائية اللغوية المتوازية Balanced bilingualism، وهي حالة من الإتقان الجيد للغتين بنفس المستوى لأهداف متشابهة .

معروف أن اللغة الأولى مكتسبة يكتسبها الفرد من الوسط الاجتماعي المحيط به، وهو اكتساب طبيعي للغة، أما اللغة الثانية فإن اكتسابها يختلف عن اكتساب اللغة الأولى، فبعض الناس يكتسبها بطريقة طبيعية من وسطه الاجتماعي وبيئته التي يعيش فيها دون حاجة إلى تعلّم رسمي، وهذه الحالة تعرف باسم الثنائية الطبيعية Natural bilingualism والبعض الآخر يكتسب هذه اللغة عن طريق التعليم المدرسي ويطلق على هذه الحالة الثنائية الاصطناعية Artificial bilingualism . والحقيقة أن

تعلّم اللغة الثانية بالطريقة الطبيعية من المجتمع أفضل بكثير من تعلمها بالطريقة الرسمية .

ويمكن أن تقسّم الثنائية – حسب أماكن تعلم اللغة – إلى ثنائية منزلية Home bilingualism إذا تمّ اكتساب اللغة الثانية في المنزل، وهذا يعني استخدام لغتين في المنزل، وليس من الضروري أن يتم استخدام اللغتين من جميع أفراد المنزل، فقد تُستخدم اللغتين من جميع الأفراد ، وقد يستخدم بعض الأفراد لغة واحدة، والبعض الآخر لغة أخرى، والبعض الثالث اللغة الأولى واللغة الثانية، وأكثر ما تحدث هذه الثنائية في المنازل التي تضم أبوين مختلفي اللغة، كأن يكون الأب عربياً والأم غير ذلك . فيسمع الطفل لغة أبيه كما يسمع لغة أمه، وقد يسمع كلتا اللغتين من أبيه كما يسمعهما من أمه، فينشأ ثنائي اللغة .

وقد يتم اكتساب اللغة الثانية من المدرسة التي تقوم بتعليم اللغة الثانية، أو التي يتم التعليم فيها بلغتين، وفي هذه الحالة تسمى الثنائية ثنائية تعليمية Educational bilingualism أو ثنائية مدرسية School bilingualism . أما إذا كانت الثنائية اللغوية في وسائل الإعلام فإنها تسمى الثنائية الإعلامية Information bilingualism وفي مثل هذه الحالة توجد في المجتمع صحف ومجلات وبرامج إذاعية وأخرى تلفزيونية بلغتين، وقد تخصص لكل لغة مجلات وصحف إلى جانب محطات إذاعية وقنوات تلفزيونية . وقد تكون الثنائية ثنائية رسمية Officiail bilingualism إذا كان استخدام اللغتين معترفاً به في أجهزة الدولة ومؤسساتها.

يستطيع الفرد استخدام لغتيه الأولى والثانية في كل أمور الحياة، فيستخدم ما يشاء من اللغتين في أي مكان، في البيت، وفي الشارع، وفي العمل، مع أصدقائه وخاصته، ومع عامة الناس، في الوسط الرسمي وفي الوسط الشعبي، فهو متقن للغتيه إتقاناً تاماً يخوله استخدامهما متى يشاء وكيف يشاء . وقد يعجز البعض عن استخدام لغتيه في كل الأمور، لذا فإنه يلجأ إلى توزيع الاستخدام بينهما، فيخص كل لغة بوظيفة خاصة فقد يستخدم لغته الأولى في البيت ومع أفراد أسرته فقط، ويستخدم لغته الثانية خارج البيت، وربما اعتمد لغته الثانية في العمل والأولى خارج العمل،

وكذلك ربما استخدم لغته الأولى في الحديث مع طبقة معينة من الناس، واللغة الثانية مع طبقة أخرى، وقد يستخدم اللغة الثانية في التدريس، والأولى في غير ذلك وهكذا، وتسمى الثنائية في مثل هذه الحالة الثنائية التكاملية Complementary bilingualism، أو ثنائية وظيفية Functional bilingualism، أي أن اللغتين تتكاملان الأدوار عند الفرد نفسه، فلكل لغة منهما وظيفة خاصة بها لاتشاركها فيها الأخرى، وتتضح صورة هذا النوع من الثنائية لدى الأقليات في المجتمعات، إذ يستخدم الفرد منهم لغة الأكثرية Majority language خارج البيت، ويستخدم لغة الأقلية Minorty language لغته الأولى – مع أفراد أسرته داخل البيت. كما يظهر هذا النوع من الثنائية في كثير من الجامعات العربية، فكثير من المدرسين يستخدمون اللغة الأجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية) في محاضراتهم للتخصصات العلمية، ويعودون للتحدث بالعربية بعد انتهاء المحاضرة.

هذه هي أهم أنواع الثنائية اللغوية الفردية، أما الثنائية اللغوية في المجتمع (الثنائية المجتمعية) فتظهر بصورة مخالفة لها عند الفرد. فالمجتمع الذي توجد فيه أقلية إلى جانب أكثرية – يختلف فيه الوضع، فالأقلية تكتسب لغتها الأولى، ثم تتعلم اللغة الثانية (لغة الأكثرية) أما الأكثرية فلا تعرف سوى لغتها ولا تهتم بلغة غيرها، فيكون في المجتمع جماعتان، جماعة تعرف لغتين (لغة الأقلية ولغة الأكثرية)، وجماعة تعرف لغة واحدة فقط هي لغة الأكثرية، فطوائف هذا المجتمع لا تتبادل معرفة اللغات، فالثنائية هنا ثنائية غير تبادلية Non-reciprocal bilingualsim.

أما إذا كان في المجتمع فئتان متساويتان في المكانة والأهمية، فإن لغتيهما تتساويان أيضاً في المكانة والأهمية، ويطلق على هذا النوع من الثنائية، ثنائية تبادلية Reciprocal bilingualism، ويلعب الوئام والانسجام بين أفراد هذا المجتمع دوراً هاماً في ظهور هذه النوع من الثنائية. وتبدو الثنائية اللغوية في مثل هذا المجتمع ظاهرة اجتماعية تقرّها الأعراف، وهي مقبولة لكل أفراد المجتمع وعلى كل المستويات، ويترتب على هذا الفهم، وهذه القناعة لدى الأفراد تعايش لغوي بين اللغتين، وهذا يدعو إلى تدعيم الثنائية واستقرارها وتسمى ثنائية مستقرة Stable bilingualism وإذا حدث

عكس ذلك تصبح الثنائية غير مستقرة Unstable bilingualism ويترتب على عدم الاستقرار هذا زيادة في عدد ثنائي اللغة بالنسبة لأحادييها ، وينتج عن هذا الازدياد ظهور ثنائية جديدة تعرف بالثنائية المتزايدة Progressive bilingualism سببها ازدياد عدد المهاجرين أو عدد الوافدين إلى هذا البلد ، وقد تظهر صورة أخرى بسبب عدم الاستقرار تنتج عن تناقص عدد الثنائي اللغة وتسمى هذه الحالة الثنائية اللغوية المتناقضة ، Regressive bilingualism . هذه أهم مظاهر الثنائية عند الفرد وفي المجتمع .

تصاحب الثنائية الفرد في كل مراحل حياته وتلازمه في كل أعماله ، وتظهر واضحة في سلوكه وانفعالاته ، فهي تؤثر تأثيراً كبيراً عليه ، فيظهر هذا الأثر في شخصيته ، يقول: ولهلم فون هومبولت Wolhelm Von Humblot " إن اللغة تشكل الشخصية (٤٧) " فالثنائية تؤثر سلباً في شخصية الفرد ، وإذا أحسّ هذا الفرد بنقص ما ضمن الجماعة اللغوية التي يعيش معها ، حاول تعويض ذلك النقص بأي طريقة كانت ، فيلجأ إلى استخدام لغة أخرى ظناً منه أن ذلك يؤدي إلى رفع مكانته بين جماعته ، ولا يقتصر مثل هذا السلوك على الأفراد بل قد تلجأ جماعة لغوية إلى مثل هذا السلوك " فبعض الجماعات تميل نحو استخدام اللغة وسيلة لرفع مكانتها الاجتماعية ، ولتدعيم احترامها لذاتها ، رغم أنه من الواضح أن مثل هذه الجماعات لا تتمتع بهذه المكانة"(٤٨). وكذلك إذا شعر شخص بأنه أقل مكانة وعلماً وأحط وضعاً اجتماعياً من غيره داخل مجتمعه ، حاول أن يتخلص مما يشعر به " فيختار لغة ما بعينها للتحدث بها من أجل أن يرفع مكانته لدى المستمعين ، وخاصة عندما تكون هذه اللغة مرموقة اجتماعياً أوعلمياً"(٤٩) . وهذا ما يحصل لكثير من أبناء أمتنا العربية الذين يبذلون جهوداً كبيرة من أجل استخدام الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها ، ظناً منهم أن هذا الاستخدام يرفع من مكانتهم الاجتماعية بين العامة ، ويجعلهم يعدون ضمن الطبقة الأكثر علماً وثقافة ، هذه هي الدوافع لتعلم لغات أجنبية عند كثير من الأفراد " ويميز في دراسات تعلم لغة ثانية بصورة عامة بين نوعين من الدوافع . يرتبط النوع الأول بإدراك المتعلم للمزايا الكامنة في معرفة لغة ما والتمكن منها . وتتراوح هذه المزايا من الحاجة

الملحّة إلى تعلم اللغة كأداة عملية للاتصال والتفاهم إلى التمكن منها لضمان مستقبل وظيفي أفضل . والنوع الثاني من الدوافع لتعلم اللغة قد يكون نابعاً من رغبة المتعلم في الانسجام مع الجماعة التي تتحدث بتلك اللغة ، أو نابعاً من الإعجاب والتبجيل الذي يكنّه لتلك الجماعة والرغبة في إظهار الاقتران بها ولو من ناحية مثالية على الأقل - - - - - فمن يتعلم لغة ما لاعتقاده أن في تعلمها مكسباً يكون بالطبع راغباً في أن يصبح جزءاً من الجماعة التي تتكلم تلك اللغة والتي يعتقد أنها لسبب أو لآخر جماعة متميزة"(٥٠)

هذا الشخص الذي اختار لغة جديدة للتحدث بها بدلاً من لغته الأم، لا يحقق الغرض المطلوب من استخدامها ، بل يترتب على ذلك عدم الرضا وعدم الاستقرار النفسي لديه ، لأنه يدرك أنه غير قادر على الاندماج في تلك الجماعة اللغوية ، كما أنه غير مقبول عندهم " إن كل من يتكلم لغة أجنبية وإن كان يتقنها جيداً ، يشعر بشيء من الانزعاج عندما يخاطب أبناءها الأصليين"(٥١) إنه لم يحقق هدفه في الاندماج في تلك الجماعة لأنه " يسير في طريق الاندماج في مجموعتين ، والانتماء لثقافتين ، وبما أن هذا مستحيل فإنه يعيش بشخصيتين مختلفتين ، أو بعبارة أخرى لديه انفصام في شخصيته ، ومن ثم قد تبدو عليه أعراض ومظاهر هذا الانفصام وما يرتبط بذلك من صراع في ولائه للمجموعتين"(٥٢)

إن الثنائية تفرض على الفرد التردد وعدم الثقة وسرعة الانتقال من لغة إلى أخرى حسب الظروف التي يعيشها ، فيتحول من لغة إلى أخرى حسب حاجته ، إن هذا التحول وعدم الثبات على استخدام لغة معينة يؤكد أن المتحول لا يتقن أي لغة من اللغتين اللتين يستخدمهما ، وهذا التحول اللغوي يثير " في نفوس أحاديّي اللغة ردود فعل مختلفة أكثرها سلبي ، بل ويثير ردوداً مماثلة لدى ثنائيي اللغة الذين يكثرون من التحول ومن هذه الردود : التحول ناتج عن كسل المتكلم، التحول تدمير للغة ١ واللغة ٢ ، التحول خطر على الاتصال اللغوي، التحول إهانة للمستمع أحادي اللغة ، المتحول أي الشخص الذي يحول من لغة إلى أخرى، شخص لا لغة له إنه لا لغوي nonlingual ، المتحول ضعيف في اللغتين إنه نصف لغوي Semilingual ، التحول يجعل " سَلَطةً لفظية

عجيبة"(٥٣)

هذا التحول لدى الشخص الثنائي ينتج عنه عدم وضوح الفكرة التي يريد التعبير عنها، وعدم استقامة اللغة وانقيادها لديه، فتظهر عليه التأتأة أو اللعثمة أو غيرها من الأمور التي تعد من عيوب النطق التي تنشأ عن التردد وعدم الثقة في النفس إذ " ترى بعض الدراسات أن الثنائية اللغوية تضر بشخصية الفرد وتجعله يغير مبادئه وقيمه، كما يغير لغته حسب مقتضيات المقام والظروف، يتحول في السلوك كما يتحول في اللغة . وترى بعض الدراسات أن الثنائي قد يعاني من التوتر وعدم الاستقرار الانفعالي وبعض الاضطرابات النفسية مثل اللعثمة"(٥٤)

ولا يقتصر ضرر التحول على المتكلم وحده، بل يتعداه إلى السامع الذي يقع تحت تأثير صدمة المفاجأة التي تفقده التوازن، وتوقف فهمه لبعض الوقت حتى يستطيع متابعة ما يقال له من الكلام وفهمه، وقد أشار الخولي إلى ذلك بقوله: " يرى البعض أنه إذا قام المتكلم بتحول أثناء كلامه، أي تحول من ل١ إلى ل٢، فإن هذه المفاجأة قد تربك المستمع وتجعله غير قادر على الفهم لمدة ثوان، حتى ينفتح مفتاح الإدخال المناسب"(٥٥).

كما تؤثر هذه الثنائية سلباً على الذكاء والتحصيل العلمي، إنها قتل للإبداع، وتدمير للتفكير السليم فالشخص الثنائي الذي يستخدم لغتيه كلتيهما، يفكر بلغة، ويتحدث بأخرى، يقع في دوامة من التردد وعدم الثبات، كما يقع في بحر من الحيرة والارتباك، وعدم المقدرة على التفكير السليم والاستيعاب الحق، والاستنتاج الدقيق للمسائل والقضايا التي تعرض عليه، ويشعر بأنه عاجز عن تحديد المراد، وغير قادر على إيجاد الحلول المناسبة للقضايا والمشكلات التي تعترضه لأنه عديم الثقة بنفسه، غير ثابت على قرار، عاجز عن التفكير العلمي والتحليل الدقيق والاستنباط الصائب . لذا لن يكون مبدعاً أو مبتكراً، لأن الإبداع والابتكار لن يتحققا إلاّ بإتقان اللغة إتقاناً تاماً دون أي تشويش أو عدم وضوح، وهو مالا يتوفر للشخص الثنائي الذي لا يمكن أن يتقن اللغتين إتقاناً تاماً، بل إن إتقانه للغة الثانية لن يكون إلاّ على حساب إتقانه للغة الأولى، " إن متعلمي اللغة الثانية يشكلون نظامهم اللغوي الخاص، وليس

هذا النظام بنظام اللغة الأصلية، ولا هو بنظام اللغة المستهدفة، ولكنه يقع بينهما"(٥٦) وهذا يعني أن لا إبداع مع الثنائية اللغوية، كما أن الإبداع لا ينفصل عن الذكاء و " لقد دلت بعض الدراسات على أن الثنائية اللغوية ذات أثر سلبي على الذكاء، فلقد رأى وزغيربر Weisgerber ، أن الثنائية تدمر الذكاء والإبداع، وأنها إذا انتشرت في شعب ما فإنها تدمر ذكاءه وإبداعيته لأجيال طويلة . وتوصل باحثون آخرون - - - - إلى أن الشخص الثنائي اللغة يفكر بلغة ويتكلم بأخرى مما يجعله متردداً عقلياً ومرتبكاً" (٥٧)

وإذا كانت الثنائية اللغوية سبباً في إعاقة الذكاء وقتلاً للإبداع عند الكبار فهي أكثر سلبية على الصغار ولها آثار مدمرة عليهم، فالطفل الذي يراد له تعلّم لغة ثانية إلى جانب لغته الأم يفرض عليه الضعف في الاستيعاب والتذبذب وعدم الاستقرار في الشخصية، لأنه ينشأ موزعاً بين لغتين، لغته القومية (الأم) التي يتكلمها بطلاقة وتلقائية دون جهد وعناء، وهي التي " لا تقبل لها ضرة تحت سقف بيتها . فإما هي وإما غيرها"(٥٨). واللغة الثانية التي يبذل من أجل الكلام بها جهداً في اللسان وجهداً في الفكر إضافة إلى ما يضيعه من وقت من أجل إتقانها، إنه في صراع نفسي مرير، لا يدري بأي لغة يتحدث، مما يرهق عقله ويشل تفكيره ويجعله غير قادر على التركيز، " وقد دلّت جميع الأبحاث النفسية واللغوية أن الولد الذي يزاول أكثر من لغته القومية وهو دون العاشرة، تضعف طاقته الاستيعابية بين لغتين، واحدة يتكلمها بتلقائية، وواحدة يتكلمها بجهد في اللسان والفكر، مما يضيع عليه وقتاً كبيراً، ويجعله يتذبذب بينهما، بدلاً من أن يستقر بصورة نهائية، وإن نسبياً في صحن لغته القومية. وهكذا يتوزع الولد بين أمتين، بين تاريخين، بين عبقريتين، إذ لكل لسان عبقرية خاصة"(٥٩)

يدرك الطفل الثنائي أنه غير قادر على مجاراة أترابه وأقرانه الأحاديين في التفكير وفي الذكاء، وفي طلاقة اللسان، كما يشعر أنه أقل ذكاء وفطنة منهم، كما يحسّ أن هذه اللغة الثانية قيدٌ له تحدُّ من انطلاقه والتعبير عما يدور بخلده من أفكار وآراء، لأن الطالب " الذي يتلقن العلوم بلغته القومية الطائعة لمعطيات فكره يبزّ

الطالب الذي يناخ لألفاظ في اللغة لم يتسلمها فطرة من أجداده . هذه اللغة التي يجبر لسانه ودماغه على مزاولتها تصبح قيداً لأفكاره ، لافضاءً حرّاً فسيحاً يخترقه . تصبح سبب وجود عقدة نفسيّة مخرّبة لكيانه المعنوي"(٦٠) وقد أُجري العديد من الدراسات في هذا الشأن ، والعديد من اختبارات الذكاء والمقدرة العقلية دلّت كلها على أن الأطفال الثنائيين أقل مقدرة على تحديد أنفسهم ومرادهم من زملائهم الأحاديين ، كما أنهم أقل معرفة وذكاء منهم ، لأن الطفل الثنائي منهك العقل والتفكير ، وقد قال الباحثون : " إن الثنائية عبء على الطفل تجعله يعاني من إنهاك عقلي لأنه موزع بين لغتين . وتوصلوا إلى أن الثنائي اللغة أدنى ذكاء من الأحادي حسبما تدل اختبارات الذكاء ، وأن الثنائيين أدنى في معامل ذكائهم من الأطفال الأحاديين كما وجدوا أن العمر العقلي للأحاديين يزيد عن العمر العقلي للثنائيين ، ووجدوا كذلك أن الأحاديين يتفوقون على الثنائيين في اختبارات الذكاء اللفظية والعملية"(٦١)

إن الطفل في سنوات عمره الأولى يحتاج إلى كمية محدودة من الغذاء الفكري الذي يمكن الحصول عليه من اللغة الأم ، فالطفل في هذه المرحلة العمرية لا يحتاج إلى أكثر من لغته الأم من أجل تنمية قدراته العقلية ، فإذا طلب منه تعلم لغة ثانية إلى جانب لغته الأم أدى ذلك إلى عدم نموه الفكري المطلوب ، أو إلى نمو فكري مشوّه يخلق منه إنساناً ناقص القدرات ، فقد " أدت اختبارات دي كرولي إلى النتيجة الآتية : على الولد بصورة عامة أن لا يزاول في السنوات العشرة الأولى لساناً غير لغته الأم . هذه اللغة كافية في سنه لتغذّي عقله . يعني أن تعدد الألسنة يعرقل النمو الفكري عند القسم الأكبر من الأولاد . من المستحسن إذن ، أن ينتظر الولد ريثما يكون قد اكتسب نسبياً لغته الأم ، قبل أن يقدم على دراسة لغة ثانية"(٦٢) الطفل في هذه المرحلة من حياته بحاجة إلى التعبير عن نفسه وأفكاره بطريقة سهله ، يعتمد على سليقته اللغوية في كل تعبيراته ، وهذا التعبير العفوي النابع من السليقة اللغوية الذي يستطيع الطفل من خلاله أن ينقل أفكاره وأحاسيسه وعواطفه إلى الآخرين ، لا يمكن أن يحصل عليه بسهولة ويسر إذا كان قد لقّن لغة أخرى إلى جانب لغته الأم . وإذا فرض عليه لغة أخرى في سنّ مبكرة فإن ذلك سيعيق نموه اللغوي لأنه سيخلط بين اللغتين ، " فالأطفال الذين يراد

بهم تعلم لغتين في سنّ مبكرة يتأخرون في تقدمهم اللغوي، لأن لكل لغة صفاتها الخاصة، التي تميزها عن أية لغة أخرى، ولهذا يخلط الطفل بين اللغتين في ألفاظهما وفي تعبيراتهما، فيتأخر نموه في كلتيهما، ويرجع هذا التأخر إلى الأثر السلبي الذي يتركه تعلم لغة ما عند تعلم لغة أخرى(٦٣) كما " تؤكد دراسات " ماكنمارا " أن هناك أثراً متوازياً بين الأطفال المؤهلين لتعلم لغة أجنبية أو المستخدمين لهذه اللغة أو الذين يتقرر تدريس لغتين لهم، هؤلاء الأطفال يصبح لديهم فهم ضعيف لكل من اللغتين عن الأطفال الذين يتخاطبون بلغة واحدة"(٦٤)

إن تعلم الطفل للغته الأولى يكسبه خبرة كافية في تعلم اللغة بشكل عام، ويساعده على تعلم اللغة الثانية، فإذا أردنا أن نحقق هدفنا من تعلم أبنائنا لغة ثانية فعلينا أن نعلمهم لغتهم الأم أولاً، وأن لا نقدم لهم اللغتين معاً، لأن هذا سيؤدي إلى نفور الطفل بشكل عام، وعدم استعداده للاستيعاب، وعدم مقدرته على القراءة، إلى جانب تبلده الفكري، كما قد يؤدي ذلك إلى إثقال كاهله، ويخلق عنده نوعاً من الضعف والخجل يترتب عليه نفوره من المدرسة الذي يصبح مجبراً على الذهاب إليها، غير راغب في الدراسة برمتها، وهذا بدوره يؤدي إلى تدمير العملية التعليمية كلها وقد " دلت بعض الدراسات على أن الثنائية تضر بميل الطفل واستعداده لتعلم اللغة وتعيقه في القراءة والدراسة بوجه عام، وفي التهجئة والتاريخ والجغرافيا بوجه خاص. وقد تؤدي الثنائية في رأي البعض إلى ضعف الميل والمبادأة والاستجابة في الصف، كما قد ينمو لدى الطفل شعور بكراهية المدرسة، مما يؤدي إلى التسرب المبكر منها"(٦٥)

وينسحب هذا الأمر على جميع الطلاب في مراحل التعليم كافة، سواء كان ذلك في المرحلة الثانوية أم في المرحلة الجامعية، فالطالب الذي يطلب منه التعلم بلغة ثانية غير لغته الأم، يبدو أقل مقدرة على الاستيعاب والتعبير من نظيره الأحادي الذي يتعامل بلغة واحدة، يتقنها جيداً هي لغته الأم، وهذا ما يحدث في كثير من الجامعات العربية التي تقدم كثيراً من مقرراتها بلغات أجنبية، وقد أشار الخولي إلى هذا الأمر فقال :" ولا تنحصر هذه المشكلة في الأطفال، بل تتعداهم إلى البالغين في الجامعات .فإذا تعلم الطالب العلوم مثلاً بلغة لايتقنها، كما يحدث للطلاب العرب في الجامعات

العربية التي تدرس العلوم باللغة الإنجليزية أو الفرنسية فإن هذا يؤثر في الأغلب تأثيراً سلبياً على تحصيله الدراسي ومستواه العلمي، وذلك لأنه سيكون أقل استيعاباً وتعبيراً من نظيره الأحادي الذي يتعلم بلغته الأولى"(٦٦)

فاللغة الأم هي الوسيلة الحقيقية التي تعمل على توحيد الأمة بكل عناصرها في إطار واحد، والتي تعمل على خلق الألفة والمودة والوئام بين أفراد الأمة، لأنها هي وحدها التي تستطيع أن تضع أساساً للتفاهم الروحي والذهني بين طبقات الأمة،وهي الأسلوب الأمثل لخلق القدرات وصقل المواهب، وتفتيق الطاقات، وتسخيرها جميعها من أجل الخلق والإبداع والإنتاج العلمي الحضاري، إنها التي تخلق الانتماء القومي الحقيقي عند أفراد الأمة " من أجل هذا كان عظيماً جداً خطأ الذين يفرضون لغة أجنبية كأداة للتدريس على التلميذ دون العاشرة لكأننا بهم يفرضون عليه أن يعيش غير تاريخه، أن ينتسب إلى أجداد غير أجداده، أن ينتمي إلى غير فصيلته، إلى غير أمته . وأن يتصرف بجسمه عكس منطق العفوية، جهود هؤلاء لا تأتي بالثمر النافع، بل تساعد على خلق جيل لا شيء يربطه بمحيطه، ويصله باختبارات السابقين من أسلافه"(٦٧)

وإني أتساءل هنا عن سبب تسابقنا في الحرص على تعليم أطفالنا لغة ثانية أو ثالثة في سنّ مبكرة ظناً منا أن هذا الأمر يخدم الطفل في حياته العلمية والعملية المستقبلية، وهذا الفهم أو الظن عكس الحقيقة والواقع، لأنه يثقل كاهل الطفل ويخلق منه شخصاً غير سوي، متبلد الفكر، قليل الذكاء، ذا شخصية قلقة مضطربة عاجزة عن التفكير السليم . إضافة إلى أن اللغة الثانية التي يتعلمها الطفل في سني حياته الأولى تزاحم لغته الأم، وتمنعه من إتقانها، مما يترتب عليه عدم إتقان اللغتين، هذا ما جعل المنظمات العلمية العالمية توصي بعدم تعليم الطفل لغة ثانية قبل سنّ العاشرة أو الثانية عشرة " وقد دلت الدراسات التي أجريت على مدى عدة سنوات على أن الأطفال الذين يتكلمون اللغة الولزية welsh في البيت، بينما يتلقون تعلمهم في المدرسة باللغة الإنجليزية، كانت نتائجهم في المواد الدراسية وفي اختبارات الذكاء أسوأ من نتائج أقرانهم الناطقين باللغة الإنجليزية في بيوتهم، وعلى أساس هذه الدراسات وغيرها انتهى

معظم المشاركين في مؤتمر لوكسمبورغ إلى أن التعليم بواسطة لغة غير اللغة الأم المستخدمة في البيت مضر بالنمو الذهني والشخصي، ومن ثم أوصى المؤتمرون بضرورة تأخير إدخال اللغة الثانية بقدر الإمكان وليكن مثلاً سن الثانية عشرة"(٦٨). وكذلك تؤثر هذه الثنائية سلباً في الثقافة، لأن اللغة وعاء الفكر، والفكر يكوّن الثقافة " وتعتبر الثقافة جزءاً لا يتجزأ من التفاعل بين اللغة والفكر، فاللغة تعبّر عن الأنماط الثقافية والتقاليد وطرق الحياة، وتنعكس نظرة أهل ثقافة معينة إلى الكون على لغتهم"(٦٩) فلا نستطيع أن نكون الأفكار إلاّ من خلال اللغة " إن اللغات تمد الجماعات الناطقة بها لا بوسيلة للاتصال فحسب، بل كذلك بأوعية ثقافية مختلفة"(٧٠).

هناك علاقة وطيدة وقوية جداً بين اللغة والثقافة، فاستخدام اللغة رمز للانتماء إلى المجموعة التي تستخدم هذه اللغة، إنه رباط متين لا تنفصم عراه، ارتباط روحي بين الفرد والمجموعة اللغوية التي يتحدث لغتها، وينهل من ثقافتها، فعند معرفته لغة ثانية يضع نفسه بين ثقافتين تتنازعانه، وعليه أن يختار إحداهما، ولن يتم هذا الاختيار بسرعة وسهولة، إنه صراع طويل مرير، يفقد الثنائي التوازن وعدم المقدرة على الانسلاخ من إحدى الثقافتين، والانتماء التام للأخرى، وسيبقى في صراع نفسي، حائراً متردداً غير قادر على الحسم، وغير قادر على الانتماء إلى ثقافتين معاً أو الاندماج في مجموعتين لغويتين في آن واحد، يحسّ أنه بشخصيتين، شخصيته الأولى المندمجة في الجماعة اللغوية الأولى تحافظ على أنماط حياة تلك المجموعة وسلوكياتها وعاداتها الاجتماعية ومعتقداتها وكل إنجازاتها الحضارية، والشخصية الثانية المندمجة في الجماعة اللغوية الثانية بكل قيمها ومفاهيمها وطرائق نظرتها للعالم، وانجازاتها العلمية والحضارية بكل أنواعها وفروعها فهو مفصوم الشخصية يصارع هذه السلبيات التي نتجت عن الثنائية اللغوية لأن " اكتساب لغة أخرى لا يعطي الشخص الفرصة للانضمام إلى مجموعة إنسانية مغايرة فحسب، بل يعطيه أيضاً الانتماء إلى ثقافة تختلف عن ثقافته الأصلية - - - ويجب ألاّ يغيب عن البال أن الألفة والانتماء لثقافة جديدة قد يؤدي إلى نوع من الصراع في نفسية المتكلم وهويته وبما أن هذا مستحيل،

فإنه يعيش بشخصيتين مختلفتين، أو بعبارة أخرى لديه انفصام في شخصيته، ومن ثم قد تبدو عليه أعراض ومظاهر هذا الانفصام، وما يرتبط بذلك من صراع في ولائه للمجموعتين"(٧١) ولعل هذا هو السبب في هجرة كثير من العقول العربية التي درست خارج الوطن العربي فأتقنت لغة ثانية إلى جانب لغتها العربية وتثقفت بثقافات تلك الأمم، مما ترتب عليه انتماؤها لتلك الأمم وضعف انتمائها وولائها لكل ما هو عربي أو له صلة بالعروبة، هؤلاء المثقفون المتبرمون دائماً المشككون في قدرات هذه الأمة، الساخطون على الحياة العربية بمجملها وعلى الموروث الثقافي والاجتماعي لهذه الأمة .

سيترتب على هذه الثنائية اللغوية ثنائية ثقافية، يعيش صاحبها في صراع نفسي قاس، ناتج عن اضطراب القيم والتقاليد والعادات والمعتقدات، فلا يستطيع تحديد ما هو مباح وما هو ممنوع، ما هو مقبول لدى الجمهور، وما هو غير مقبول، وما يحمد على فعله وما يذم عليه وهكذا، يعيش بمعيارين لا يستطيع تحديد أيهما يصلح هنا وأيهما يصلح هناك، إنه يعيش ثقافة مضطربة غير واضحة الملامح والأبعاد، إنها مزيج غامض من الأفكار والمعتقدات تخلق منه شخصاً بلا هوية ثقافية، هذا ما يجعله غير قادر على تحديد انتمائه الثقافي لأنه " يتبنى مزيجاً غامضاً من ثقافة "١"وثقافة"٢" فتراه تارة يميل إلى ثقافة "١" وتارة يميل إلى ثقافة "٢" وتدعى هذه الحالة حالة الصراع الثقافي Cultural Conflict . وليس هذا الصراع الثقافي سهلاً، بل هو صراع قاس ومؤلم للنفس . فالذي يعاني من هذا الصراع لا يدري إلى أي شعب ينتمي ولا إلى أية ثقافة يتجه. كما أنه يكون حائراً بين قيم ثقافة "١" وقيم ثقافة "٢" يحتار في الصواب والخطأ والحلال والحرام والمقبول وغير المقبول والجائز وغير الجائز والحسن وغير الحسن"(٧٢)

إن الثنائية اللغوية من أخطر الظواهر اللغوية والاجتماعية معاً لا على الفرد فحسب بل وعلى حياة المجتمع كله، كما أنها أشدها فتكاً بجسد الأمة، وعامل تمزيق هام لوحدتها وتفتيتها إلى جماعات لغوية متناحرة تصل في النهاية إلى تقويض وحدتها وهدم كيانها "ولا نبالغ إذا قلنا إن الثنائية اللغوية ناقوس خطر يدق ومرض ينتشر في جسد هذه الأمة"(٧٣)

وليس هذا فحسب، بل إنها السبب الأول والأهم في هدم اللغة الأم وزوالها، واللغة كما هو معروف مستودع الفكر والمعرفة والثقافة، كما أنها أداة كل إبداع ومصدر كل معرفة، إنها معين التراث الفكري والحضاري للأمة، فإذا وجدت لغة ثانية إلى جانب اللغة الأم، فإنها ستوجد ثقافة ثانية معها، مما يعني صراعاً بين هاتين اللغتين وهاتين الثقافتين، ولن ينتهي هذا الصراع وهذا التعارض بين اللغات والثقافات إلاّ بفوز إحداهما على الأخرى " ولعل أخطر ما تحمله الثنائية التعارض بين الثقافات والمفاهيم التي تحملها كل لغة - - - - - وتكمن الخطورة في الثنائية في عملية الطرد والإقصاء والتنحية للثقافة الأم"(٧٤).

وتؤثر الثنائية سلباً على اللغة التي هي مرآة صادقة تنعكس بداخلها صورة المجتمع الذي يتكلم بها، إنها أهم أداة للاتصال والتواصل، كما أنها عنوان السيادة ورمز التحرر والاستقلال، فاستقلال الشعب " يقضي بأن تكون لغته الأم سائدة بالتمام . لهذا كانت الشعوب الحاكمة تسارع إلى القضاء على لغة الشعوب المحكومة"(٧٥). وإذا تعرضت اللغة إلى منافس لها داخل بيتها فإن ذلك يوهنها ويفت في عضدها وتبدأ في التراجع والانهزام التدريجي إلى أن تصل إلى الاستسلام الكامل، و"إذا استسلمت اللغة للضربات وتغيّرت حانت نهايتها لأنه ليس في مقدور قوة في العالم أن تضمن لها التغير على وتيرة واحدة في كل الأماكن التي تتكلم فيها . وهذا هو التصدع الذي يقدم لنا التاريخ أمثلة كثيرة منه"(٧٦).

إن مخالطة الشعوب الأخرى سبب هام في ظهور الثنائية كما أسلفنا، فكلما زاد اهتمام شعب من الشعوب بأمة أخرى زاد اهتمامه بلغتها واستخدامه لتلك اللغة، وفي المقابل يقلّ اهتمامه بلغته ويبتعد شيئاً فشيئاً عنها " لأن البعد عن اللسان إنما هو بمخالطة العجمة فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد، لأن الملكة إنما تحصل بالتعلّم، وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الأولى التي كانت للعرب، ومن الملكة الثانية التي للعجم، فعلى قدر ما يسمعونه من العجم ويربّون عليه يبعدون عن الملكة الأولى"(٧٧).

إن الثنائي لا يستطيع إتقان لغتيه كما يجب، وإن معجمه اللغوي يفتقر إلى كثير من المفردات والصيغ وهذا يجعله غير قادر على استخدام اللغة استخداماً سليماً، فهو كثير الخلط بين مفردات اللغتين بسبب كثرة تحوله من لغة إلى أخرى وكثرة افتراضاته الناتجة عن عدم ثقته في نفسه، كما أنه لا يستطيع بناء الجمل بناء سليماً، فجمله غير تامة لعدم إتقانه لأي من اللغتين إتقاناً تاماً، كما أنه لا يمكنه السيطرة على اللغة وتسخيرها في بناء جمله وعباراته، إنه عاجز عن بناء الجمل الطويلة، كما أنه كثير الأخطاء اللغوية وقد " دلت بعض الدراسات على أن الثنائي يواجه مشكلات عديدة في نموه اللغوي - - - - - ويرى البعض أن مجموع كلمات ل١ ول٢ لدى الثنائي أقل من كلمات نظيره الأحادي، لأن الأحادي يركز على لغة واحدة في حين أن الثنائي تتنازعه لغتان . ويميل الثنائي إلى استخدام عدد أقل من الكلمات مما يفعل الأحادي . كما أن مفردات الثنائي تميل إلى الاختلاط بسبب ميله إلى التحول والاقتراض من لغة أخرى . وترى هذه الدراسات أن الثنائي يميل إلى استخدام جمل أقصر، كما أنه يكثر من الجمل غير التامة، ويقلل من استخدام الجمل المعطوفة والمركبة، ويكثر من الجمل التعجبية، ويقلل من الجمل الاستفهامية مقارنة بالشخص الأحادي . كما أن الثنائي يتميز بالقوالب النحوية المرتبكة ونظم الكلمات الغريب، وأخطاء ناتجة عن التداخل اللغوي . كما أن الطفل الثنائي يرتكب أخطاء أكثر من الطفل الأحادي في الأفعال والحروف والأسماء والضمائر والتعابير الاصطلاحية"(٧٨).

الثنائي غير قادر على الإنتاج العلمي والإبداع الفكري، لأنه يعيش حياته متذبذباً بين لغتين، وهذا يمنعه من التمكن من لغته الأصلية، ويجعله غير قادر على تعلمها وإتقانها، غير قادر على معرفة عناصرها وكيفية تطويع هذه العناصر واستخدامها، أي أنه غير قادر على استحضار العناصر المناسبة للعبارة التي يريد قولها أو الفكرة التي يريد التعبير عنها، لأن " وجود لغة أجنبية مزاحمة للغة الأم أو منافسة لها قد يخلق نوعاً من التذبذب والحيرة، ويمنع من التركيز والاهتمام باللغة الأصلية، ومن التمكن منها . إن جهد الطالب ازدواجي اللغة ووقته يصبحان موزعين بين لغتين، وهذا يقلل من فرص تعلّم لغته الأولى، ومن فرص تلقي واستيعاب عناصرها اللفظية والمعنوية، أو من

فرص استخدام هذه العناصر، أو إلى ركود طوائف منها وصعوبة استحضارها في الذهن وقت الحاجة إليها، ومن ثم عدم وجود أي فاعلية لها في مجالات التعبير المختلفة، الأمر الذي يؤدي بالتالي إلى ضعف مستوى هذه المجالات بنحو عام"(٧٩).

إن أهم أسباب الثنائية اللغوية فقدان الثقة في الذات أو في المجتمع، فعندما يشعر الفرد بالانحطاط الاجتماعي ويحس أنه من طبقة اجتماعية أقل من غيرها من طبقات المجتمع، أو يشعر أنه يتحدث لغة لا تحظى باحترام الطبقات الاجتماعية الأخرى، أو أنها دون غيرها من لغات الأمم الأخرى، كما أنها غير مرموقة ولا تصلح لمواكبة العصر، وهذا يعني أن ذلك الفرد يخالف المألوف ويتجه في نهجه إلى غير المعروف في هذا الشأن، إذ" يرى علماء النفس الاجتماعي أن الناس يميلون إلى الاعتقاد بأن الجماعة التي ينتمون إليها أفضل من مثيلاتها من الجماعات"(٨٠) فإذا استقر هذا الشعور لديه فإنه ينزع إلى تعلم لغة أخرى من أجل استخدامها في حياته ظناً منه أن تلك اللغة التي اختارها سترفع مكانته الاجتماعية، هذا الشخص يرى نفسه ضعيفاً غير قادر على الحياة مع جماعته اللغوية، لأنه يدرك أنه لا يحظى بأي احترام عندهم، فيبدون في نظره منحطين أو ليسوا أهلاً للحياة، وعاجزين عن مجاراة الآخرين حضارياً وثقافياً، لأن " الجزء الأساس من نظرة الفرد إلى ذاته مشتقة من نظرته إلى الجماعة أو الجماعات الاجتماعية التي ينتمي إليها، واحترامه لذاته يعتمد أساساً على احترامه للجماعة ككل"(٨١)، لذا فهو يحرص على قطع كل صلة تربطه باللغة الأولى التي يراها غير قادرة على مواكبة الحضارة وتطورات العصر، كما يرى فيها لغة للجمود والتخلف، فيحاول أن ينسلخ من مجتمعه ويؤكد انتسابه إلى جماعة أخرى، يرى أنها أفضل من الجماعة التي ينتمي إليها، فيتبني طرائق نطقها وأساليب تعبيرها، إلى جانب عاداتها وتقاليدها ويكرس ولاءه لها، لأن " اللغة تستخدم رمزاً للانتماء إلى جماعة بعينها، فالناس يستخدمون الكلام حتى يحددوا الجماعة الاجتماعية التي ينتمون إليها " أو التي يرغبون في الانتماء إليها، وبالتالي يقوم الآخرون بتقييم المتحدثين حسب تقييمهم لهذه الجماعات"(٨٢).

إن الشخص الذي ينسلخ من أمته أو يحاول اللجوء إلى أمة أخرى والانتساب إليها،

يفقد كل رفعة واحترام، ويحسّ دائماً أنه غير مرغوب فيه لدى هؤلاء القوم الذين حرص على الانتماء إليهم . هذا الفرد يعيش ما يعرف بظاهرة اللاّ أمان اللغوي Linguistics insecurity، وهي ظاهرة اعتقاد بعض الجماعات أنها لا تتحدث بطريقة أفضل من الجماعات الأخرى، بل على العكس، فهم يتصورون أنهم يتكلمون بطريقة سيئة أو أسوأ من الآخرين"(٨٣).

إن كثيراً من أبناء أمتنا العربية يعيشون ظاهرة اللاأمان اللغوي السابقة الذكر، ويرون في لغتنا العربية أداة تخلف وإنحطاط، ويرونها غير قادرة على مواكبة علوم العصر وفنونه، فيعملون على التخلص من العروبة ومن كل ما يربطهم بها، فيلجأون إلى استخدام اللغات الأجنبية في أحاديثهم، أو في بعض أحاديثهم، لشعورهم بأنهم أقل علماً وحضارة من غيرهم، وأنهم غير مقبولين عند أفراد مجتمعهم، فيظنون أن معرفة اللغة الأجنبية تجعلهم متميزين في مجتمعهم، وترفع مكانتهم عند أهلها، كما تجعلهم الطبقة المثقفة والصفوة المتميزة التي يحلمون في الوصول إليها، وهم في قرارة أنفسهم يدركون أنهم لن يحققوا رفعة أو مكانة عالية، ويبقى فقدان الثقة في الذات مسيطراً عليهم في كل أعمالهم وسلوكياتهم .

إن بعض الأفراد ينتابهم القلق عند تعلم لغة أجنبية نتيجة رغبتهم في أن يصبحوا مقبولين ضمن جماعة أخرى، فالفرد من هذه المجموعة يتشدق ببعض الألفاظ أو الجمل الأجنبية في حديثه العادي، أو فيما يكتبه من كلمات أجنبية لها بدائلها في العربية وكأنه يريد أن يُتَّهم بأنه أعلى مكانة من غيره، أو أنه من طبقة النخبة المثقفة . ولا يكتفي هؤلاء الأفراد بهذا التنكر للغتهم والتنصل من كل ما يربطهم بها، فيسارعون بإرسال أبنائهم إلى المدارس الأجنبية الخاصة، ويحرصون على تدريسهم لغة أجنبية أو أكثر، ويلقنونهم سلوكيات أهلها، ويعلمونهم عاداتهم وتقاليدهم وطرق تفكيرهم، فينشأ هؤلاء الأطفال مثقفين بغير العربية، مؤمنين بعادات وتقاليد غريبة عن عادات أمتهم وتقاليدها، ويدرك أولئك الأفراد أن ذلك الإتقان للغات الأجنبية لن يكون إلاّ على حساب إتقان العربية مما يدفع بها إلى المرتبة الثانية ويجعلها اللغة غير المرغوب فيها، وهو ما يترتب عليه تدمير لشخصية الطفل وقتل لكل تقدم علمي عنده، إن هذه

الفئة تسير باتجاه ما يعرف بظاهرة الدمج اللغوي Linguisic amalgam التي يقصد بها " إدراج كلمة أجنبية أو أكثر على سبيل الاستعارة أو الاقتراض في أثناء الحديث أو الكتابة، بداعي الإفهام أو الظرف أو التعالم والتناصح أو الغفلة والاعتقاد بأن هذه الكلمة الأجنبية ليست أجنبية، وإنما هي ضمن القاموس اللغوي في المحيط الذي يعيشه الفرد والبيئة التي تنتمي إليها"(٨٤).

نتائج البحث :

يتضح مما سبق أن لهاتين الظاهرتين اللغويتين (الازدواجية والثنائية) آثاراً سلبية كثيرة تعم أرجاء المجتمع وجوانب الحياة المختلفة، وشخصية الفرد وحياته .

فالازدواجية اللغوية رمز للتفرقة والتباعد بين أفراد المجتمع الذين يشترط أن يسود بينهم الوئام والاتحاد والتعاضد، فهي تعمل على تمزيق المجتمع إلى فئات متصارعة لا يربط بينها رباط اللغة المقدس، فالازدواجية إذن عنوان الصراع الاجتماعي داخل المجتمع كما أنها معول هدم لنمجزات الأمة وأداة لتفتيت جهودها وتبديد طاقاتها كما أنها تقف عائقا للفكر و الإبداع إلى جانب إعاقتها للتطورات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية.

ويظهر تأثيرها السلبي على شخصية الطفل إذ تخلق منه إنساناً مترددا، لايستطيع تحديد ما يريد وغير قادر على اتخاذ القرار فهي تعمل على قتل كل إبداع لدى الأفراد، لأن الإبداع لا يتأتى إلا لمن أتقن لغته الأم دون أن تشاركها في الإتقان لغة أخرى .

كما أن الازدواجية عدو لدود للغة الفصحى، فهي تعيق تعلمها لدى الناشئة لأنهم تعلموا العامية في بداية الأمر، مما يجعلهم يجدون في الفصحى لغة أجنبية غريبة عنهم غير ما ألفوه، لذا نجدهم يعزفون عن تعلمها، مما يترتب عليه ضعف المستوى اللغوي لدى الطلاب والدارسين.

إنها تحول دون انتشار العربية الفصحى خارج حدود الوطن العربي، وهو الأمر الذي يطمح كل عربي مخلص إليه، هذه الازدواجية خنق للفصحى وتكبيل لها في كل المجالات.

أما الثنائية اللغوية فهي أشد عداوة وخطراً من الازدواجية اللغوية، لأن ضررها يبدو واضحاً في الفرد والمجتمع، فهي تؤثر سلباً في شخصية الفرد، فيظهر عليه عدم الاستقرار النفسي، كما يظهر في سلوكه الاضطراب وعدم الرضا عن كل ما حوله، ويغلب على شخصيته التردد والقلق وعدم الثقة، فيجد نفسه إنساناً أقل مقدرة على الاستيعاب، مما يترتب عليه ضعف في الذكاء، وعدم القدرة على الإنتاج العلمي والإبداع الفكري. كما أن انتماءه الثقافي يكون لغير ثقافته الأم، إنه انتماء لثقافة الأمة التي تعلم لغتها على حساب لغته القومية، فهو عديم الانتماء لأمته ووطنه ولكل ما له صلة بلغته الأم.

إن الثنائية اللغوية هي السبب الأول في هدم العربية الفصحى، لأن الإنسان مهما بلغ من المهارة لا يمكنه إتقان لغتين إتقاناً تاماً فإذا كان هدفه إتقان اللغة الأجنبية لأمور نفسية أو اجتماعية، فإن قناعته هذه ستعمل على إهمال الفصحى وبالتالي هدمها نهائياً.

من هنا نقول إن العربية الفصحى تعيش الآن حصاراً قوياً، فهي مقبوضة بين فكّي كمّاشة، لا تستطيع إفلاتا منهما. إنها محاصرة من قبل اللغات الأجنبية التي هي لغات الثقافة والعلوم والتقنية في هذا العصر، هذه اللغات تضغط على الفصحى وتصارعها داخل المؤسسات التعليمية المختلفة من مدارس ومعاهد وجامعات التي تمكّن اللغات الأجنبية من الانتصار على الفصحى، وذلك بالسماح لهذه اللغات بمزاحمة الفصحى داخلها، كما أن هذه المؤسسات تتيخ أطفال الأمة لتعلم هذه اللغات مما يترتب عليه إقصاء الفصحى عن مكانتها الأولى. كما تسهم اللهجات المحلية او العامية إلى جاب اللغات الأجنبية في محاصرة العربية الفصحى، هي تصارع الفصحى وتقارعها خارج تلك المؤسسات، إنها تصارعها في الحياة العامة للشعب العربي، في البيت وفي العمل وفي الحقل وفي كل مكان.

فإذا كنا نود أن تبقى العربية الفصحى هي الرباط الأقوى الذي يجمع شعوب أمتنا العربية فإنه يجب على أصحاب القرار في الأمة العربية أن يدافعوا عن لغتهم الفصحى حفاظاً على هويتهم وقوميتهم ووحدتهم، لأن اللغة هي الرباط الأقوى الذي

يجمع بين أفراد الأمة فيجب عليهم أن يعملوا على إحياء قناعات أبناء الأمة بأهمية اللغة العربية الفصيحة وبمقدرتها على التعبير عن كل متطلبات العصر ، وقدرتها على استيعاب مصطلحات العلوم والثقافة والفنون، وأن يعملوا على إقناعهم بأن اللغة الفصحى هي ذاتنا ، هي الرباط المقدس الوثيق الذي يربط بين أبناء أمتنا ، إنها وطننا الروحي الذي تكمن فيه عزتنا ومجدنا بل وكينونتنا ، الذي يجب علينا الدفاع عنه والمحافظة على بقائه في أحسن الصور ، كما يجب عليهم أن يسخروا كل وسائل الإعلام المختلفة لتوعية المواطنين بالأخطار المحدقة بلغتهم، وأن يبينوا لهم ما يجب عليهم القيام به من أجل الدفاع عنها ، وعليهم بالعمل الجاد من أجل إيجاد المناخ المناسب لتحقيق هذا الغرض، وأن يشنوا حرباً لا هوادة فيها ضد أولئك المروجين للعامية وغيرها من الدعوات الهدامة التي تدعو للنيل من الفصحى ومكانتها ، وتشكك في مقدرتها على مواكبة العلوم والفنون وفي صلاحيتها لهذا العصر ، ولابد من تهيئة النفوس لتقبل هذا الأمر وذلك بالجهد الصادق والعمل الدؤوب المخلص ، ووضع الحوافز والجوائز المناسبة لتشجيع استخدام الفصحى من الأفراد ، وعلى أصحاب القرار أيضاً أن يفرضوا التعامل بالعربية الفصحى في كل المؤسسات التربوية والتعليمية أولاً ، ثم في غيرها من المؤسسات المختلفة ثانياً. كما لابد من متابعة دقيقة صارمة لهذا التوجه الذي يقود في النهاية إلى استخدام الفصحى في كل جوانب الحياة.

كما يجب عليهم أن لا يقدموا لأطفالهم في سنيّ حياتهم الأولى لغات أجنبية إلا بعد أن يتقنوا لغتهم الأم التي يشترط لإتقانها عدم تعلم لغات أخرى . ويجب ألا يفهم هنا أننا نحرّم تعلم اللغات الأجنبية ، بل على العكس من ذلك فنحن من دعاة تعلم اللغات الأجنبية لقناعتنا بأهمية معرفة اللغات ، وتحقيقاً لما أمرنا به ديننا الحنيف على لسان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إذ يقول :" من تعلم لغة قوم أمن مكرهم ". لكن يجب أن يكون تعلم اللغات الأجنبية مقنناً ، ولا يسمح به للأطفال دون سن العاشرة إلى الثانية عشرة كما أوصت بذلك الهيئات التعليمية والتربوية التابعة للأمم المتحدة.

الهوامش :

١. لمزيد من التفصيل ينظر: رمضان عبدالتواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله، عبدالصبور شاهين، في التطور اللغوي.
٢. الزغول، محمد راجي. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني - السنة الثالثة - العدد المزدوج ٩، ١٠، آب - كانون أول ١٩٨٠م ص١٢١، مثال بعنوان " ازدواجية اللغة نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية.
٣. القعود، عبدالرحمن محمد، الازدواج اللغوي في اللغة العربية - مطابع التقنية للأوسفت - ط١ - ١٩٩٧م =١٤١٧هـ - الرياض - ص١٠٤.
٤. الزغول، مرجع سابق ١٢١.
٥. مارتينيه، أندريه. ت نادر سراج - مجلة العرب والفكر العالمي - العدد ١١ - ١٩٩٠م مركز الإنماء القومي - بيروت ص٢٢ مقال بعنوان " الثنائية الألسنية والازدواجية الألسنية، دعوة إلى رؤية دينامية للوقائع".
٦. المرجع السابق والصفحة.
٧. الفلالي، إبراهيم صالح - ازدواجية اللغة: النظرية والتطبيق - مكتبة العبيكان - ط١ - ١٩٩٧م = ١٤١٦هـ - الرياض ص١٢٥.
٨. المرجع السابق ١٢٦ -١٢٧.
٩. المرجع السابق ١٢٧.
١٠. الخولي، محمد علي، الحياة مع لغتين " الثنائية اللغوية " مطابع الفرزدق التجارية - ط١ - ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م الرياض ص٢٠.
١١. المرجع السابق والصفحة.
١٢. المرجع السابق والصفحة.
١٣. المرجع السابق ٢٩.
١٤. الحاج، كمال يوسف. في فلسفة اللغة - دار النهار للنشر - ط٢ - ١٩٧٨م - بيروت ص١٥٦، وانظر - أميل بديع يعقوب - فقه اللغة العربية وخصائصها ١٤٥ -١٤٦.
١٥. الموسى، نهاد. ندوة الازدواجية في اللغة العربية - ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م - مطبعة الجامعة الأردنية مقال بعنوان" الازدواجية في العربية، ما كان، وما هو كائن، وما ينبغي أن يكون " ص٨٤.
١٦. الفلالي، مرجع سابق ٨٢ بتصرف.

١٧. لمزيد من الإيضاح ينظر: علي وافي: علم اللغة ١٨٤ -١٨٥ ط٩ – دار نهضة د ت.

١٨. الزغول، مرجع سابق ١١٩.

١٩. المرجع السابق ١٢٠.

٢٠. القعود، مرجع سابق ٢١٩، وانظر: الزغول، ١٢٠.

٢١. اندريه مارتينيه، مرجع سابق ٣٤.

٢٢. أميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها ١٤٦.

٢٣. اللغوي، أبو الطيب، مراتب النحويين، الطبعة الثانية ١٩٧٤م، دار الفكر العربي ٢٣.

٢٤. ابن خلدون، عبدالرحمن، المقدمة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ٥٤٦.

٢٥. المرجع السابق ٥٤٨.

٢٦. المرجع السابق ٥٥٥.

٢٧. القعود، مرجع سابق ٢٢٤.

٢٨. دوزي: تكملة المعاجم العربية ١/١٤.

٢٩. الزغول، مرجع سابق ١٢٤.

٣٠. الحاج، كمال يوسف، مرجع سابق ١٥٥.

٣١. المعتوق، أحمد محمد، الحصيلة اللغوية . أهميتها - مصادرها - وسائل تنميتها - عالم المعرفة العدد ٢١٢، ص١٦٨.

٣٢. علي وافي، فقه اللغة، ١٥٤ - ١٥٥.

٣٣. انظر، الحاج، كمال يوسف، مرجع سابق ٢٢٢.

٣٤. اسكندر المعلوف – مجلة الهلال، ج١٠ع١٢٤، مقال بعنوان" اللغة الفصحى واللغة العامية " ٢٧٦.

٣٥. الزغول، مرجع سابق ١٣٢.

٣٦. المعتوق، مرجع سابق ١٦٧.

37. Bloomfield, L. (1933). Language. NewYork: Holt, Rinehart and Winston, P. 132.

38. Macnamara, J. (1967). The Linguistic independence of bilinguals, Journal of Verbal Learning and verbal Behavior, 6, PP. 719-736.

39. Albert, M. and Obler, L. (1978) The Bilingual Brain. NewYork: Academic Press, P. 73.

٤٠. الخولي، مرجع سابق ٢٥.
٤١. المرجع السابق ١٨.
٤٢. سيجوان، ميجل ومكاي، وليم . ف - التعليم وثنائية اللغة ترجمة: ابراهيم حمد القعيد ومحمد عاطف مجاهد - مطابع جامعة الملك سعود - الرياض ١٤١٥هـ . ص١٢ -١٥.
٤٣. المرجع السابق ٨ -٩.
٤٤. المرجع السابق ٩.
٤٥. مارتينيه، أندريه، مرجع سابق ٣٠.
٤٦. الحاج، كمال يوسف، مرجع سابق ١٢٤ -١٢٥ .
٤٧. براون، هـ. دوجلاس، ترجمة: إبراهيم حمد القعيد وعيد عبدالله الشمري. مبادئ تعلم وتعليم اللغة - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م ص٢٤٢.
٤٨. د. هدسن، ترجمة: محمود عبدالغني عياد. علم اللغة الاجتماعي، دار الشؤون الثقافية العامة - ط١، ١٩٨٧م ص٢٣٠.
٤٩. الخولي، محمد علي، مرجع سابق ١١٧.
٥٠. سيجوان، ميجل ومكاي، وليم ف. مرجع سابق ٩٨.
٥١. ضود، ستيوارت، ترجمة : فريد نجار، العلاقات الاجتماعية في الشرق والغرب - دار الكتاب ١٩٧٤م ص٣٠٤.
٥٢. سيجوان، ميجل ومكاي، وليم ف. مرجع سابق ١٩.
٥٣. الخولي، محمد علي، مرجع سابق ١١٩ -١٢٠.
٥٤. المرجع السابق ٢١٩.
٥٥. المرجع السابق ١٨٠.
٥٦. بروان، هـ. دوجلاس، مرجع سابق ٢٩٠.
٥٧. الخولي، محمد علي، مرجع سابق ٢١٢.
٥٨. الحاج، كمال يوسف، مرجع سابق ١٣٩.
٥٩. المرجع السابق ١٣٩ -١٤٠.
٦٠. المرجع السابق ١٤١.
٦١. الخولي، محمد علي، مرجع سابق ٢١٢.
٦٢. الحاج، كمال يوسف، مرجع سابق ١٤٢.

٦٣. منصور، عبدالمجيد سيد أحمد، علم اللغة النفسي - جامعة الملك سعود - الرياض، ط١، ١٤٠٢ = ١٩٨٢م ص١٥٢.

٦٤. المرجع السابق ٢٠٨، وانظر: الخولي، الحياة مع لغتين ٨٢.

٦٥. الخولي، محمد علي، مرجع سابق ٢١٧.

٦٦. المرجع السابق ٢١٩.

٦٧. الحاج، كمال يوسف - مرجع سابق ١٤٠ -١٤١.

٦٨. سيجوان، ميجل ومكاي، وليم .ف. مرجع سابق ١٠٠.

٦٩. بروان، ه. دوجلاس - مرجع سابق ٢٤١.

٧٠. سيجوان، ميجل ومكاي، وليم ف. مرجع سابق ١١٨.

٧١. المرجع السابق ١٨ -١٩.

٧٢. الخولي، محمد علي - مرجع سابق ٣٩.

٧٣. المزيني، أحمد عبدالعزيز - قراءة نقدية في أعمال النخبة والتربية والديمقراطية وأدب الحداثة - دار الوراقين - الكويت ط١ ١٩٩٦م. ص١٨٦.

٧٤. المزيني، احمد عبدالعزيز - مجلسة الوعي الإسلامي - العدد ٣٧٤ شوال ١٤١٧هـ - فبراير ١٩٩٧م، ص٧٣ ، مقال بعنوان: " الثنائية اللغوية أهدافها ومخاطرها".

٧٥. الحاج، كمال يوسف - مرجع سابق ١٦٩.

٧٦. فندريس، ترجمة : عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص ٢٣٩.

٧٧. ابن خلدون، مرجع سابق ٥٥٨.

٧٨. الخولي، محمد علي، مرجع سابق ٢١٤.

٧٩. المعتوق، أحمد محمد - مرجع سابق ١٦٢.

٨٠. د. هدسن - مرجع سابق ٢٢٧.

٨١. المرجع السابق والصفحة.

٨٢. المرجع السابق والصفحة.

٨٣. المرجع السابق ٢٣٠.

٨٤. الحليمي، رفيق حسن، مجلة الوعي الإسلامي - العدد ٢٧٦، ذو الحجة ١٤١٧هـ، ابريل ١٩٩٧م ص٧٢، مقال بعنوان: " ظاهر الدمج اللغوي أبعادها ومخاطرها".

المراجع :

١ - بروان، هـ دوجلاس: (١٤١٤هـ -١٩٩٤م) مبادئ تعلم وتعليم اللغة، ترجمة : إبراهيم حمد القعيد وعيد عبدالله الشمري . الرياض : مطبوعات مكتبة التربية العربي لدول الخليج،

٢ - الحاج، كمال يوسف: (١٩٧٨م) في فلسفة اللغة، بيروت، دار النهار للنشر، الطبعة الثانية.

٣ - الحليمي، رفيق حسن : (١٤١٧هـ ١٩٩٧م) " ظاهرة الدمج اللغوي أبعادها ومخاطرها " مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٧٦،

٤ - ابن خلدون، عبد الرحمن : المقدمة، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

٥ - الخولي، محمد علي : (١٤٠٨هـ ١٩٩٨م) الحياة مع لغتين " الثنائية اللغوية " الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة الأولى .

٦ - الزغول، محمد راجي : (١٩٨٠) ازدواجية اللغة، نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية. عمان، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج ٩، ١٠، آب – كانون أول.

٧ - سيجوان، ميجل ومكاي، وليم ف: (١٤١٥هـ) التعليم وثنائية اللغة، ترجمة : إبراهيم حمد القعيد ومحمد عاطف مجاهد، الرياض . مطابع جامعة الملك سعود .

٨ - ضود، ستيروات: (١٩٧٤م) العلاقات الاجتماعية في الشرق والغرب، ترجمة: فريد نجار، دار الكتاب.

٩ - الفلالي، إبراهيم صالح: (١٤١٦هـ = ١٩٩٧م) ازدواجية اللغة: النظرية والتطبيق، الرياض . مكتبة العبيكان – الطبعة الأولى

١٠ - فندريس، جوزيف: (١٩٥٠م) اللغة، ترجمة: عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي

١١ - القعود، عبدالرحمن محمد: (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م) الازدواج اللغوي في اللغة العربية . الرياض، مطابع التقنية للأوفست، الطبعة الأولى .

١٢ - اللغوي، أبو الطيب، عبدالواحد بن علي: (١٩٧٤) مراتب النحويين، الطبعة الثانية تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، الكويت .

١٣ - مارتينيه، أندريه: (١٩٩٠م) الثنائية الألسنية والازدواجية الألسنية : دعوة الى رؤية دينامية للوقائع" ترجمة: نادر سراج، بيروت، مركز الإنماء القومي – مجلة العرب والفكر العالمي. العدد ١١.

١٤ - المزيني . أحمد عبدالعزيز:
- (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.) الثنائية اللغوية أهدافها ومخاطرها. مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٧٤،
.
- قراءة نقدية في أعمال النخبة والتربية والديمقراطية وأدب الحداثة . الكويت دار الوراقين، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

١٥ - المعتوق، أحمد محمد: الحصيلة اللغوية – أهميتها – مصادرها – وسائل تنميتها . الكويت، سلسلة عالم المعرفة العدد ٢١٢.

١٦ - منصور، عبدالمجيد سيد أحمد: (١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م) علم اللغة النفسي، الرياض، مطبوعات جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى.

١٧ - الموسى، نهاد: (١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م) الازدواجية في العربية، ما كان، وما هو كائن، وما ينبغي أن يكون " عمان، ندوة الازدواجية في اللغة العربية، مطبعة الجامعة الأردنية .

١٨ - هدسن: علم اللغة الاجتماعي – ترجمة : (١٩٨٧م) محمود عبدالغني عيّاد – بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة الطبعة الأولى.

١٩ - وافي: علي عبدالواحد: علم اللغة : القاهرة، دار نهضة مصر – الطبعة التاسعة.

٢٠ - يعقوب، أميل بديع: (١٩٨٢م) فقه اللغة العربية وخصائصها الطبعة الاولى ، بيروت دار العلم للملايين.

المراجع الأجنبية:

21- Albert,m. and Obler,L.: The Bilingual Brain. NewYork: Academic press, 1978.

22- Bloom field, L. Language. NewYork: Molt, Rinehart and Winston, 1933.

23- Macnamara, J. The Lingnijtic Independence of bilingnals Journal of verbal Learning and verbal Behavior. 1976.

Literary Arabic between Diglossia and Bilingualism

Ibrahim kayid mahmoud

College Of Education – King Faisal University
Al-Hassa – Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

The study has considered literary Arabic and the impact of diglossia and bilingualism on it. It initially dwelt upon the controversy among scholars in the field over the delimitations of the concepts of diglossia and bilingualism. The study then dealt with the phenomenon of diglossia, how it endangers literary Arabic and how it negatively affects language, the society and the individual through the creation of conflicting social groups. Diglossia negatively affects efforts to unite the society and its members; it is the symbol of social conflict in he society; it negatively affects the individual's character, in his thinking about and understanding life. Diglossia further attempts to replace literary Arabic. Moreover, the study deals with bilingualism and attempts to define it. It points out the important kinds of bilingualism and the causes of their emergence. It shows how bilingualism harms the society and the individual by creating a hesitant character, lacking in creativity. Bilingualism also attempts to destroy lilerany Arabic and replace it.

The study has concluded that both diglossia and bilingualism are the inveterate enemies of literary Arabic; they try to annihilate it. They create a weak, hesitant, indecisive anxious individual, with limited horizons.

Additionally, they constitute the direct cause of destroying creativity and scientific productivity. It is therefore imperative to protect lilerany Arabic from the dangers of diglossia and bilingualism through taking the necessary measures to foster it and to give it due emphasis. Literary Arabic should be simplified and made more appealing to the younger generations. Educational institutions and mass media should also give it due emphasis. Current educational concepts should be utilized to promote literary Arabic. Arabic teachers should be adequately qualified. It is finally suggested that the teaching of foreign languages should be delayed until after age ten, a time at which Arab children have initially mastered their mother tongue – Arabic.